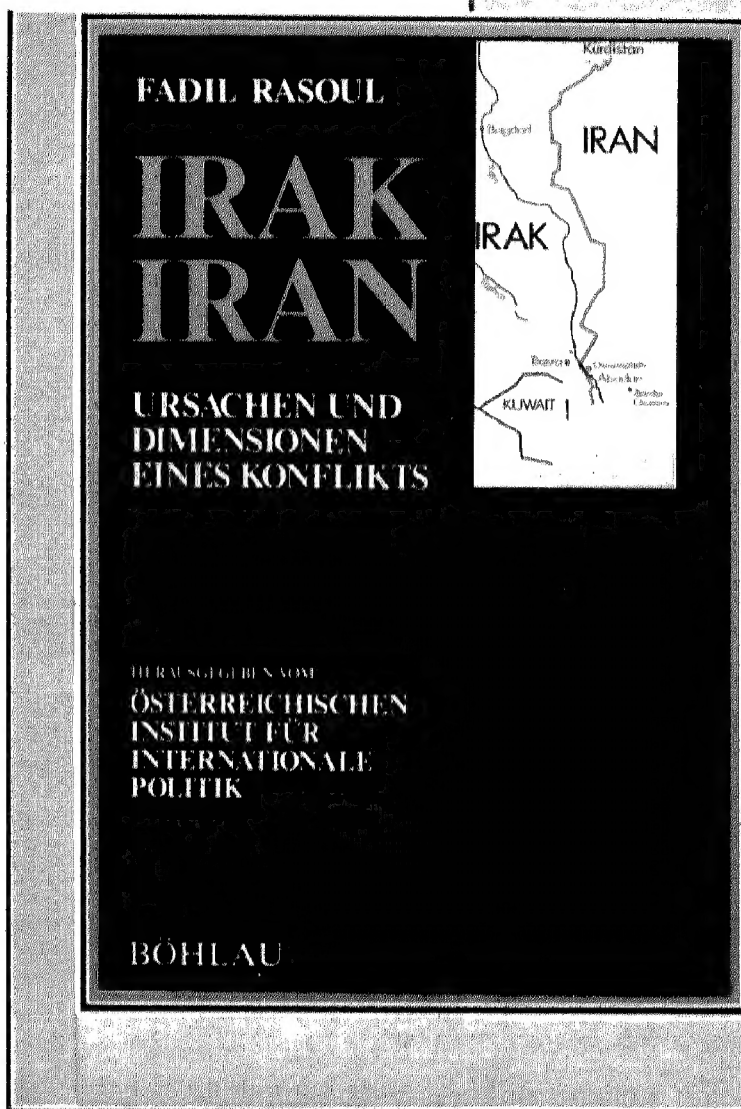
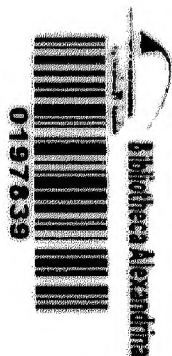


الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٩٨)



العراق - إيران ..

أسباب وأبعاد النزاع
الكاتب: فاضل رسول





مقدمة من :

الجمعية العامة للإعلاميات

وزارة الإعلام

١٩٩٥

العراق - ايران أسباب وأبعاد النزاع

تأليف : « فاضل رسول »

صدر عن المعهد النمساوي
للسياسة الدولية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Publishers of the Alexandria Library

مقدمة

تخلت الحرب العراقية - الايرانية عامها السادس دون أن تلوح في الافق نهاية قريبة لهذا النزاع الدامي ، الذي وصفه أحد المراقبين بحق أنه أحد أهم النزاعات المسلحة التي نشبت منذ الحرب العالمية الثانية ، خاصة فيما يتعلق بحجم القوى البشرية والمادية والتكتيكية التي استخدمت في هذه الحرب وحجم الخسائر المادية والبشرية التي لا حصر لها .

وهذه الحرب شغلت مكانا ضخما في أجهزة الاعلام في كافة انحاء العالم ورغم هذا ، جاءت الدراسات التحليلية لهذا الموضوع نادرة . ويرجع ذلك في رايانا الى الافتراض الذي كان سائدا منذ بداية الحرب وهو انه في مثل هذه المنطقة الحيوية لا يمكن أن تستمر أي حرب لمدة طويلة . وانتظر العالم نهاية قريبة للحرب وضاع انتظاره سدى ، وعلق كل آماله على محاولات مجسدية للوساطة .

لم يدرك المراقبون والخبراء السياسيون أبعاد وعوامل هذه الحرب ادراكا كافيا . فأوصاف مثل « الحرب المجنونة » (تقرير ميريب ١٢٥/١٢٦) ، « حرب بدون منقصر » (مؤسسة فريدرش ايبرت ١٩٨١) ، « حرب بدون منطق واضح » (روبين ١٩٨٣ ، ص ١٤١) أو « حرب التقديرات الخاطئة » (اقبال ١٩٨٥ ، ص ٩٨) — هذه الأوصاف جميعا لا تشير فقط الى الرغص المعنوي لحرب مدمرة ، بل تشير أيضا الى عدم الفهم الكافي لأسباب الحرب ومجراها ، وطريقة التعبئة والمفاهيم الأيديولوجية للقوى المشتركة والمتورطة في هذا الصراع المعقد .

بل ان الأسباب التي تسوقها منشورات ومطبوعات الجانبين المنحازين والموالين لهما مثيرة للبلبل والتضليل . فالرئيس العراقي صدام حسين يقول : « أن العراق يحارب نيابة عن تاريخ ومن أجل مستقبل الأمة العربية » . أما آية الله الخميني فيزعم « أن هذه الحرب انها هي بين الاسلام والكنز » (خوميني ، رسالة بتاريخ ١٩٨٠/٩/٢٤) . بينما وصف أحد المنشورات الموالية لايان الحرب بأنها صراع بين الاسلام والقومية زمزمى (١٩٨٥) ، في حين صورها الجانب الآخر على انها صراع بين القومية العربية والتوسع الإيراني (رؤوف ١٩٨٣ ، فيرتسلى ١٩٨١) .

وترتكز هذه الدراسة على الافتراضات التالية :

١ — لا يجب فهم هذه الحرب بالمعنى المتعارف عليه على انها تعبير عن نزاع على الحدود بين دولتين متجاورتين . كما انه لا يمكن تصور أن إبرام

اتفاقية جديدة للحدود سوف ينهى هذه الحرب ، مثلما حدث في تاريخ النزاعات على الحدود الذى استغرق قرونا طويلة بين الامبراطورية الايرانية والعثمانية ، ومثلما حدث في هذا القرن بين الدولتين الحديثتين (العراق وايران) وتدور الحرب الحالية تحت ظروف دولية واقلية جديدة من جانب ، ومن جانب آخر في ظلال نهضة اسلامية جديدة في التاريخ الحديث لهذه الدول . انها واحدة من اصعب النزاعات في الشرق الاوسط اذا قورنت بالصراع العربى الاسرائيلى والحرب الاهلية اللبنانية المرتبطة بهذا الصراع .

٢ - كيف يبدو الآن الوضع الدولى الجديد الذى تشتعل الحرب في ظلالة ؟ مما لا شك فيه أن كل نزاع اقليمى ومحلى يرتبط بطريقة أو بأخرى بالنزاعات الدولية والاقليمية ذات الابعاد الواسعة بل يتأثر بموازن القوى بين الدول العظمى . وعلى أية حال اتسمت ثمانينيات قرنا بوضع دولى جديد ، نحاول توضيح معالمة الجوهرية وخاصة تلك التى تتعلق بدراستنا حول الحرب الايرانية العراقية .

(١) تدويل الحروب المحلية ، أى تشبكها المعقد في شبكة العلاقات الدولية حيث أنه لا يمكن لأى نزاع أن يظل اقليميا . فالدول الكبرى - وبخاصة الدولتان العظميان - متورطة بطريقة أو بأخرى في كل صراع محلى واقليمى وبذلك يفسون بعدا دوليا على أى من هذه النزاعات ، في نفس الوقت تصب المصراعات المحلية والاقليمية في استراتيجيات الدول العظمى .

(ب) بالرغم من تدخل الدول الكبرى وتورطها في النزاعات الاقليمية وتأثيرها على كيفية سيرها من خلال معونات الاسلحة وتأييدها لاحد أطراف الصراع نجد أنها تعجز في معظم الأحيان عن انهاء هذه الصراعات . وانطلاقا من هذا السبب لا نتفق مع هؤلاء الذين يتوقعون نهاية للحرب العراقية الايرانية وكذلك العديد من الصراعات الاقليمية الأخرى عن طريق التوصل الى اتفاق سوفيتى أمريكى على سبيل المثال . وسنتعرض في دراستنا التحليلية لصروب الفوضى في النظام الدولى التى نجمت عن هذه الصراعات .

(ج) ظهور القوى الاقليمية والمحلية (دول وحركات تحرير) التى تسند اليها دائما ادوار أكبر في العلاقات الدولية والصراعات الاقليمية . وحتى لو اعتبرت نفسها مربوطة بمحور احدى الدول العظمى ، فليس من الضروري أن تكون تابعة كلية لهذه الدولة ومحدودة في حرية قراراتها وحركتها . وستظل القوى المحلية والاقليمية - على مر الزمن ومع التركيب المتغير للدول العظمى - من أقوى شركاء في المحاور والتحالفات الدولية .

(د) تسعى بعض هذه القوى الاقليمية (دول تملك قدرات مادية وبشرية وثقافية ضخمة) الى نوع من السيطرة الاقليمية . وقد نشأت هذه الظاهرة (على الأقل في الشرق الاوسط) اثناء الستينيات فقط .

٣ - ولتفهم ظاهرة مثل الحرب العراقية الايرانية ، لا يتحتم تحليل الارتباطات الدولية فقط بل يتعين أيضا مراعاة بعض السمات الحضارية الأخرى والخصوصيات كالقومية العربية والاسلام . فكما غير ظهور القومية العربية في عهد ناصر في الستينيات الوضع السياسي للمنطقة ، جذريا ، وأدى الى اقامة تحالفات دولية وصراعات داخلية واقليمية ، يمكن النظر الى « نهضة » الاسلام على أنها تيار سياسي قوى وعامل مهم آخر في عدم استقرار المنطقة .

وهذه التيارات القومية العربية ، والاسلام ، تيارات وحدوية تسعى الى اقامة وحدات سياسية أكبر في المنطقة (وحدة العرب كقومية ، وتوحيد المسلمين في أمة واحدة) ، وبالرغم من ذلك كانت سببا في عدم الاستقرار ، وفي العديد من الصراعات العسكرية السياسية في المنطقة . ونحاول هنا دراسة هذه التيارات الاقليمية وغير الاقليمية في ضوء تأثيرها على الحرب العراقية الايرانية :
ظواهر أخرى مشابهة .

٤ - ويقود هذا الى مجال آخر ، أي الى تحليل التركيب الحضاري السياسي للمنطقة التي نشأت فيها على مر تاريخها (في عهد الخلافة والدول الاسلامية المختلفة) وحدة سياسية حضارية عظيمة ، تجزأت بعد هزيمة الدولة العثمانية الى دول ودويلات صغيرة ، ولعل أوضح مثل على ذلك هو الاثنان وعشرون دولة عربية .

ولا يتجاوز عمر الدولة الحديثة في هذه المنطقة الستين عاما ، وهي غريبة عن تاريخ المنطقة وتقاليدھا وأصولھا . وقد أقيمت الدولة الحديثة على النمط الغربي ، على الرغم من اختلاف الظروف العامة والتطورات داخل البلاد المختلفة الا أن هذه المحاولة لاقامة « دول حديثة بمؤسساتها القضائية والسياسية والحضارية باءت بالفشل الذريع . وكانت نتيجة هذا الفشل ظهور النهضة الاسلامية ، التي تسعى - من بين ما تسعى للعودة الى نظام الدولة الاسلامية ورفض « الدولة الحديثة » .

ولا يمكن أن يعزى ضعف الدولة الحديثة الى الاغتراب الثقافي بل لعل أهم سبب هو غياب القاعدة السياسية الثقافية الصلبة والراسخة والمسائل الخلافية والانتهاكات في هذه الدول . وقد دخلت الدول الحديثة في محاولتها لاقامة وتثبيت انتماءات جديدة مصطنعة (الانتماء للدولة الحديثة ولشعبها) في صراع مع الأقليات القومية والمذاهب والقبائل والطوائف . وكانت نتيجة هذه المساعي قبل وبعد الحرب العالمية ناجحة نسبيا ، الا أنها فشلت في الستينيات بسبب

ظهور الانتماءات الدينية والقومية . وأدى ذلك الى ضعف الكيان الهش للدولة الحديثة لدرجة انه يمكننا القول بأن هذه المنطقة تدخل في مرحلة جديدة من مراحل تاريخها ، وهى مرحلة تتسم بالتفكك وإعادة التكوين . ولهذا يتعين دراسة الصراعات المحلية والاقليمية (مثل الحرب العراقية الايرانية) فى ضوء التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

وتعد كل من ايران والعراق نموذجا لمثل هذه الدولة العصرية التى قاست على العديد من المتناقضات التى تهدد كيان الدولة وقد تؤدي تحت ظروف معينة الى انهيارها فهناك اقلية دينية (المسيحيين على سبيل المثال) وطائفية (كالشيعة) تعيش منفصلة فى كلا هذين البلدين . وقد أدت حركاتهم السياسية فى التاريخ الحديث للمنطقة الى هزات سياسية عنيفة ، ويتعين دراسة هذه الامور على ضوء الافتراضات التى سبق ذكرها (عملية التفكك وإعادة التكوين) . وفى قضيتنا هذه لا يتعين علينا تحليل هذه الحركات بوصفها عابلا اضافيا فى مسار هذه الحرب فقط بل ايضا تأثير الحرب على التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

٥ - ان دراسة الخلفيات التاريخية للحرب العراقية الايرانية امر لا مناص منه للوصول الى فهم افضل لهذا النزاع ، فهناك بلا شك بعض الاسباب تختفى فى ثنايا التاريخ أدت الى التصعيد الحالى . فقد خاضت الامبراطوريتان (الفارسية والتركية العثمانية) حربا استغرقت قرونا طويلة من أجل ما بين النهرين ونظم عدد ضخم من الاتفاقيات الدولية وعلاقاتها ومطالبهما الاقليمية . ولعبت الخلافات الطائفية وعوامل اخرى محلية دورا هاما هنا .

وواصلت الدولتان الحديثتان (العراق و ايران) هذا الصراع فى قرننا الحالى فى ظل ظروف جديدة . ولا يمكن أن تؤدي الخلفية التاريخية الى نتيجة خاطئة بحيث تصيب كثيرا من المراقبين بالارتباك وهى التى تفيد بأن الحرب الحالية عبارة عن استمرار للنزاع التاريخي القديم أو انعكاس للصراع بين السنة والشيعة أو صراع بين الاسلام والقومية العربية . ومما لا ريب فيه أن الصراعات التاريخية السابقة والنزاع على الحدود ميراث أثقل كاهل العلاقات بين البلدين . كما أنه من المؤكد أيضا أن الخلافات الطائفية (شيعة وسنة) والصراعات الايديولوجية (الاسلام والقومية العربية) ما هى الا عناصر وعوامل للحرب الحالية . ومن المؤكد أن التاريخ لا يعيد نفسه وان هذا الصراع الحالى ليس استمرارا أو اطالة للتاريخ حتى لو كانت بعض جذوره توجد فى الماضي .

والحرب الفعلية تدور تحت ظروف دولية جديدة تم الاشارة اليها اعلاه . ويستحيل تقديم عرض لانفجار الحرب الحالية دون تشخيص هذا الوضع الاقليمى والدولى الجديد . ونحاول هنا تحليل مراحل الحرب والسلام بين كلتا الدولتين الجارتين ، وتقديم تفسير لاسباب انفجار الصراع فى ظروف معينة وأسباب

دعائش الدولتين تحت ظروف أخرى برغم مشكلات الحدود المستمرة ، وفدرهما على تشكيل محور اقليمي مشترك .

ومن المؤكد أيضا أن هيكل الدولتين الحاليتين العراق وايران مختلف عن بناء « اندول السابقة » . وهذه الحقيقة تضعف نظرية « استمرار الحرب » . ولا يمكن اعتبار الدولة العراقية العلمانية استمرارا للخلافة العثمانية السنية ، التي ادعت لنفسها الحق وفقا لمعيار اسلامية معينة ، في حكم جميع البلدان الاسلامية والتي دخلت أيضا بسبب ذلك في صراع مع الامبراطورية الفارسية الشيعية . وعلى الجانب الآخر تختف المجهورية الايرانية الاسلامية عن النظام السابق من حيث نظماها السياسي وايدولوجيتها .

ومن ثم يمكن القول بأن بعض المفاهيم مثل « حرب القومية العربية ضد الغرب » أو « حرب الاسلام ضد الكفرة » ، التي كثيرا ما استغلت دعائيا ، لا يمكن أن تكون مفاهيم قاعدية يمكن الاعتماد عليها لاجراء تحليل جاد .

اننا نتخذ في دراستنا أسلوب التحليل التاريخي . ولهذا نحاول ان نستعرض بجانب الخلفيات التاريخية أحداث الحرب وكيفية سيرها بايجاز شديد بقدر الامكان . ونقتصر في عرض أحداث الحرب على الحد الأدنى اللازم للتحليل السياسي ، أما بالنسبة لمزيد من التفاصيل فاننا نشير الى دراسات صحفية ومصادر أخرى ظهرت في العامين الاخيرين تحتوي على تفاصيل كافية عن الاحداث الاستراتيجية والعسكرية . وقد أعطى وزن كبير للخلفية التاريخية برغم التحذير من المبالغة في أهمية هذا العامل الذي تم الإشارة اليه اعلاه ، حيث أن هذه الخلفية التاريخية لم تدرس الدراسة الكافية من وجهة نظرنا ، وان الكتب دائما ما تتحيز لأحد الجانبين .

وقد خصصنا في تحليلنا للسياسة الخارجية لكلا الدولتين المتحاربتين فصلا كاملا للسياسة الخارجية الايرانية قبل وبعد اندلاع الحرب . وكان تحليل السياسة الخارجية الايرانية يحتل في مشروع هذه الدراسة مكانا ضخما وكان العنوان : « السياسة الخارجية الايرانية والحرب العراقية الايرانية » . ومع ذلك فقد قررنا في اطار هذا العمل اعطاء مزيد من الاهتمام للحرب والمراعات الاقليمية المرتبطة بها .

ويطيب لى في هذا المكان ان أعرب عن شكرى للاصدقاء الذين ساعدوني في انجاز هذا العمل ، وعلى وجه الخصوص البروفسور فالتر دوستال وكريستوف راينبرشت وريناته فايشتاور ، فقد كانت ملاحظاتهم على أسلوب ومضمون هذا النص خير عون لى .

« فاضل رسول »

فيينا في يونيو ١٩٨٦

(١) ورثة التاريخ

يظل اندلاع الحرب ومسارها أمراً غير مفهوم بدون استعراض خلفيتها التاريخية . وتختلف طريقة تناولنا لهذا العمل تماماً عن بقية الأعمال الأخرى .

وتدعى كل من العراق وإيران حقوقاً تاريخية تعود إلى آلاف السنين . مطبقاً لوجهة النظر العراقية ترجع جذور الدولة الحالية إلى البابليين وإلى الحضارة التي قامت فيما بين النهرين ، حيث بدأ تكوين أول وحدة رسمية أوقف استمرارها بسبب الغزوات العسكرية ، من بينها غزوات الفرس في فترات معينة (الراوى ١٩٨٣ ، ص ٤٥ — ٥٩) .

أما إيران . فتدعى لنفسها — خصوصاً في عهد أسرة الشاه — إمبراطورية تاريخية يرجع عمرها إلى الفين وخمسمائة عام (انظر احسان الطبرى ١٩٧٧ ص ٩) ، حيث تمكنت الإمبراطورية الفارسية من السيطرة على ما بين النهرين في حقبات تاريخية معينة . واستناداً على هذه الرؤية التاريخية تطالب إيران بأجزاء من العراق وأغلب دول الخليج ، وعلى وجه الخصوص البحرين (١) .

ومنذ أسلمت المنطقة في عام ٦٣٠ كانت الدولتان الحاليتان (إيران والعراق) أجزاء من نفس الوحدة القانونية (الأمويين والعباسيين ٠٠ الخ) ، التي كانت تضم بين ثناياها دولاً وجماعات مختلفة متنافسة وكانت العناصر العربية والفارسية تتصارع باستمرار في عهد الخلفاء العباسيين ، وقد تجلى هذا الصراع في إنشاء المدارس الدينية والفلسفية وفي تكوين الجماعات السياسية وفي محاربة الخلافة وانعكس ذلك في أدب هذا العصر (كاهان ١٩٧٢ ص ١١٥ ، ص ١٤٤ — ١٤٦ ، انظر بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

واتخذ هذا الصراع اشكالا جديدة في بداية القرن السادس عشر ، مع قيام الدولة الصفوية الفارسية الشيعية في عام ١٥٠١ . وقد انفجر الصراع بين الدولة العثمانية السنية والدولة الفارسية الشيعية منذ هذا الوقت للسيطرة على منطقة العراق الحالية . ونجح الجانبان في فترات معينة في إخضاع هذه المنطقة لسيطرتهم . ولكن من عام ١٦٣٩ وحتى الحرب العالمية الأولى تم تسوية

(١) ثم يطالب البرلمان الإيراني بحقه التاريخي في البحرين إلا في عام ١٩٧٠ بعد أن أيدت اتجاهات معينة الثورة الإسلامية مرة أخرى . انظر في هذا الصدد صحيفة الاخبار الصادرة في ١٠/٤/١٩٨٠ وصحيفة الرأي العام الصادرة في ١٧ ، ١٩/٦/١٩٧٩ .

نزاعات الحدود والتوفيق بين المطالب الاقليمية وموازين القوى السائدة آنذاك .
وكانت مشكلات الحدود والخلافات على السيادة على ممر « شط العرب » المائى
سببا دائما للنزاع فيما مضى وايضا بين الدولتين الحديثتين ايران والعراق .

وبرغم التاريخ لا يمكن اعتبار النزاع الحالى استمرارا للنزاع العربى
الايرانى قبل وبعد اصفاء الصبغة الاسلامية . وبالنسبة لتاريخ النزاع قبل وبعد
اضفاء الصبغة الاسلامية فنود أن نستعرض الأفكار التالية :

(أ) تفيد النظرية المؤيدة للعراق بأن اندلاع الحرب انما هو استئناف
للنزاع العراقى الايرانى قبل ٢٥٠٠ عام (رؤوف ١٩٨٣ ص ١١) وان النظام
الايرانى الحالى خليفة لاتباع « زرادشت » الكفرة . وقعت فى عام ٢٥٠٠ و
٢٠٠٠م معارك بين السومريين والاكاديين الذين كانوا يحكمون ما بين
النهرين والقبائل التى تعيش فى المنطقة الايرانية الحالية ، وبين عام ٢٠٠٦ و
٩٣٣ ق٠م دخلت الشعوب التى تعيش فيما بين النهرين فى معارك مع العيلاميين
الذين كانوا يسيطرون على الشرق (على ١٩٨٣ ، رؤوف ١٩٨٣) . ثما بعد
اضمحلال حضارة ما بين النهرين فقد ظهر فى العراق الحالى الساسانيون الذين
كانت عاصمتهم « مدين » تقع فى جنوب ما بين النهرين .

وبالبحث عن جذور النزاعات الحالية فى هذه الصراعات القديمة مسألة
تحتاج الى تفكير عميق . لأن الدراسات التاريخية حول أصل ومصير هذه
الشعوب ليست وافية . وهناك أسطورة كان يستخدمها الشاه دائما لتسمية
جميع القبائل والاسر التى تعيش فى ايران الحالية « فارسين » ، ولكن نتائج
الابحاث الحديثة لم تثبت صدق هذه الأسطورة حتى الآن . وطبقا لمراى العلماء
يمكن ان يكون (الميديون) الذين قضوا على الدولة الاشورية فى العراق فى عام
٦١٢ هم أسلاف الاكراد (خزبك ١٩٧٢ ص ٥١٢ ، انظر سافراستيان ١٩٤٨ ،
ص ١٠١ -) . أما بالنسبة لأصل الشعوب الاخرى فلا توجد سوى افتراضات
متناقضة مع بعضها .

ولا يعرف شئ عن الفترة ما بين اختفاء الشعوب التى كانت تحكم ما بين
النهرين والفترة التى سبقت انتشار الاسلام مباشرة . ولا يمكن اعتبار القبائل
التي نشأت فى العراق قبل انتشار الاسلام مباشرة خلفاء لشعوب ما بين النهرين
القديمة ، ولكنها جاءت مع حركة الهجرة من شبه الجزيرة العربية (شكرى
١٩٧٤ ص ٨٥ - ٩٨) . ويعتقد أن بقية الشعوب القديمة ذابت وانصهرت فى
هذه القبائل .

(ب) وتفيد هذه النظرية بأن الحرب الحالية عبارة عن استئناف مباشر
للنزاع بين المسلمين العرب والكفرة (الفارسيين الزرادشتين) عام ٦٣٧ . (انظر
فيرتسلى ١٩٨١ ص ١٣-١٥) . ولذلك وصفت وسائل الاعلام العراقية الحرب الايرانية

العراقية الحالية بانها « قادسية ثانية » ، تيمنا بالمعركة الحاسمة التي وقعت عام ٦٣٧ حول العاصمة الفارسية « مدين » . ولا تتفق هذه النظرية بأى حال من الاحوال مع الحقائق التاريخية ، حيث أن العلاقة بين الدولة الفارسية والقبائل العربية والأسر الحاكمة كانت خالية من الصراعات في أغلب الأوقات .

ويجدر ذكر أن الملك اليمنى « سنيويس » - يهودى - الذى كان يعترف بالسيادة الفارسية ، طلب معونة الاسطول الفارسى ضد المسيحيين الذين كانوا يهددون دولته (زمزمى ١٩٨٥ ص ٢٠) وكان معظم أبناء قبائل لخم التي كانت تعيش مستقلة ذاتيا في منطقة العراق الحالية قبل انتشار الاسلام من المسيحيين الموالين للدولة الفارسية وساندوها في حروبها ضد المسلمين مثلما حدث في الحروب السابقة ضد البيزنطيين . ولم تكن القوات المسلمة التي أخضعت الدولة الفارسية عام ٦٣٧ لسيطرتها تتكون من قبائل عراقية - كما يزعم دائما - بل من قبائل عربية كانت تعيش في قلب السلطة الاسلامية الفتية لشبه الجزيرة العربية (انظر شكرى ١٩٧٤ ص ٨٨) . ولا يمكن اعتبار الحكام الحاليين في ايران خلفاء للفارسيين الكفرة (انظر رؤوف ١٩٨٣ ص ١١ ف) . فهذا الرأى يفتقر الى الأسس التاريخية ويتعارض مع دور المؤسسة الدينية في التاريخ الحديث حيث كان نظام الشاه والسيارات العلمانية الحديثة يرون في الاسلام عائقا أمام اصفاء الطابع الاوربى على البلاد ، ولذا كانوا يسعون دائما للتقليل من أهمية الاسلام في التاريخ الايرانى وكانوا يشيرون اليه على أنه غزو عربى وكانوا يستندون دائما على تاريخ ما قبل الاسلام (الطبرى الجزء الاول عام ١٩٧٧ ص ١٠٠) . وكانت المؤسسة الدينية على العكس من ذلك موالية للعرب وكانت تسعى لابراز الشخصية الاسلامية لايران . ومن هنا نتج الاهتمام باللغة العربية - من خلال القرآن - بعد الثورة الاسلامية ، واصبحت اللغة الثانية للتعليم فى الجمهورية الجديدة (انظر الدستور الايرانى فقرة ١٦) . غير أن هذا لا يعنى أن تصوراتهم السياسية - خاصة استيلائهم على السلطة - خالية من عناصر قومية فارسية أو حتى ميول توسعية

(ج) دخلت العنصر العربية والايرانية في معارك دائمة بسبب الصراعات في الدول الاسلامية الكبرى وبخاصة بغداد . وكانت هذه المعارك ذات طبيعة معقدة تماما تكاد أن تكون قد انتقلت الى النزاع الحالى . وكانت هذه المعارك تنقسم الى ثلاثة مستويات : المستوى الأول عبارة عن صراع بين المسلمين العرب وغير المسلمين . أما المستوى الثانى فكان الصراع بين المركز والضواحي ، حيث يشكل هذا النوع من النزاع نوعا مميزا في تاريخ كل دولة عظمى . والمستوى الثالث كان عبارة عن صراع بين اقلية شيعية مضطهدة وأغلبية سنية مهيمنة . وغالبا ما كانت هذه الصراعات الثلاثة مستقلة عن بعضها ، غير أنها كانت تتداخل في بعضها من حين الى آخر . وسنحاول فيما يلى تناول مستويات الصراع بهزيد من التفصيل .

(١) تمكن الاسلام الذى خرج من شبه الجزيرة العربية من غزو الامبراطورية الفارسية وشمال افريقيا وأجزاء من المناطق التى كان يسيطر عليها البيزنطيون فى غضون خمسين عاما . وسيطر المسلمون العرب على العراق وايران عام ٦٣٩ وعلى مصر عام ٦٤٢ وعلى تونس عام ٦٧٠ وعلى المغرب عام ٧١٠ واسبانيا عام ٧١٤ وعلى جزء كبير من فرنسا عام ٧٢٠ وعلى جزء من الصين عام ٧٥١ . وتكونت داخل هذه الدولة المتعددة الشعوب فى اطار منهاج تاريخى خاص — امة اسلامية لا يحددها الانتماء لجنس أو قومية بل عقيدة مشتركة واحدة . وبالرغم من أن مفهوم « الصراع القومى » لا يصلح فى هذا السياق (كاهان عام ١٩٧٢ ص ٧٨) نجد أنه قد حدث بالفعل صراعات داخل الامة الاسلامية الضخمة بين القبائل والشعوب المختلفة .

وكان التقليد السائد أن يكون الخليفة من قبيلة قريش العربية . وتمتع العرب وبخاصة فى عهد الخلافة الاموية (٦٦١ — ٧٥٠) بالعديد من الامتيازات التى لا تستند على الشريعة الاسلامية أو النصوص القرآنية (انظر كاهان ١٩٧٢ ص ٦٣ ف) . وعلى الجانب الآخر كان الفرس والشعوب الاسلامية الاخرى يسعون الى المساواة والمشاركة فى السلطة السياسية . وقام الفرس فى عهد العباسيين الذين شهدوا الامة الاسلامية اوج ازدهارها فى حكمهم بدور عظيم مستفدين فى ذلك على تقليد حضارى طويل ، حتى أصبحوا منافسين أساسيين للعرب وبخاصة فى بغداد عاصمة الخلافة (بروكلمان عام ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

(ب) على الرغم من اعتناق المناطق التى تم غزوها للاسلام فى وقت قصير نجد أنه سرعان ما نشب صراع بين الضاحية والمركز (أولا دمشق ثم بغداد) وأسلب ذلك متنوعة وذات طبيعة مختلفة . كالرغبة فى مزيد من الحكم الذاتى والسخط على نظام الضريبة وأنشطة الشيعة وبعض الجماعات الدينية الاخرى التى تمكنت من فرض ارادتها على المناطق المتطرفة أو الهامشية ، وكذلك مساعى بعض الاسر المختلفة لاقامة مراكز سلطوية خاصة بها مع الاستمرار للولاء للاسلام فى نفس الوقت (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ١١٣ — ١٢٣) . وقد أدى ذلك منذ القرن التاسع الى قيام عديد من مراكز السلطة المحلية وامارات فارسية وكردية وتركية وامارات أخرى كانت فى الواقع مستقلة عن الخليفة فى بغداد ولكنها تدين له بالولاء الجزئى . وسرعان ما تكونت فى ايران تنظيمات مشابهة . وقد تمت الاطاحة الدائمة بالخلافة الاموية عن طريق العباسيين بسبب الثورة التى نشبت فى خورسان ، فى منطقة الدول الحديثة افغانستان وايران (بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٦٠) .

(ج) فقدت الشيعة - وهى المذهب الثانى بعد السنة الحاكمة - نفوذها فى قلب الامة الاسلامية بعد هزيمة واغتيال امامها الثالث حسين فى عام ٦٨٠ . واجبرت أعمال القهر الشيعة على الانسحاب الى المناطق المتطرفة التى أصبحت مناطق نفوذ جديدة لهم مثل ايران واليمن والبحرين . الى حد ما مصر (بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٦٠ ف ف) . ومن هناك قامت الشيعة بالمقاومة وأقامت مراكز سلطة مؤقتة . وأصبحت ايران التى تأسست فيها أول دولة شيعية كبرى ، قاعدة أساسية للشيعة . وأدى تضافر مستويات النزاع الثلاثة الى جعل الفرس أكبر قاعدة يعول عليها للشيعة ولكن ذلك لا يعنى بالتاكيد أن الشيعة مذهب ايرانى . (انظر بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٧٣ - ٢٨٣) .

وترجع قصة نشأة الشيعة الى الصراعات التى نشبت فى الفترة بعد وفاة النبى محمد عليه الصلاة والسلام والخلافات حول أول خليفة له . والشخصيات الرئيسية للمذهب الشيعى - وخاصة الاثنى عشر اماما - وهم من العرب ومن سلالة الرسول ووجود قاعدة للشيعة فى ايران - كما بينت النبذة التاريخية ودخول الايرانيين فى نزاعات مستمرة مع مركز سلطة الامة الاسلامية ، هذا كله يوضح أحد الأبعاد المتعددة للتاريخ الاسلامى ، التى لا تكفى فقط لتفسير خلفية الحرب الايرانية العراقية الحالية .

١ - ١ - الصراع الايراني العثماني حول العراق

كان غزو المغول ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر يعنى بالنسبة للمنطقة بأسرها استغلا ودمارا . فقد دمرت بغداد التى كانت مركزا سياسيا وثقافيا للامة الاسلامية تدميرا تاما وهجرت المئات من المدارس وأحرقت الملايين من الكتب . ولم تفق المنطقة من عمليات الخراب الا تدريجيا وفي القرن الخامس عشر . وفى ظل موازين قوى متغيرة تماما بدأ ظهور كيانات سياسية جديدة وتحولت كل من ايران وتركيا - اللتين لم تعانيا الا قليلا من الغزو المغولي - الى مراكز قوى جديدة ، ورأى العراق - الذى أصبح لا وزن له نتيجة للدهار الذى حاق به - رأى نفسه عرضة للخطر (جمعة ١٩٨٠ ص ١١) .

وأعلنت الدولة العثمانية فى عام ١٩٤٢ أنها أصبحت مركز الخلافة الاسلامية وادعت لنفسها حق السيادة على كل المناطق الاسلامية (بروكلمان ١٩٧٧ ص ٤٤٨) . وكان لغزو بغداد أهمية خاصة ، حيث كانت تمثل بوصفها سابقة للخلافة فى عهد العباسيين قيمة رمزية رفيعة بالنسبة للعالم الاسلامي .

وكان الوضع مختلفا فى الدولة الصفوية الفارسية نظرا لان ايران بوصفها دولة شيعية لم تكن فى وضع يمكنها من المطالبة بحق خضوع بقية العالم الاسلامي لسلطاتها . وتخلت آنذاك عن المطالبة بالتوسعية وعزلت نفسها كلية عن العالم الخارجى . وعند قيام الدولة الصفوية لم يكن سوى نصف الشعب الايراني تقريبا من الشيعة . وبعد ظهور التعصب المذهبي والمذابح المنتظمة ضد السنيين فر هؤلاء الى الهند وافغانستان والدولة العثمانية . وواجهت كثير من القبائل الشيعية المضطهدة نفس المصير . فترك مجالها الحيوى وبحث عن الملاذ فى ايران الشيعية .

وتكونت نتيجة لهذه الحرب دولة فارسية باغلبية شيعية ساجقة (بيتروشوفسكي) ١٩٧١ ص ٤٨ ف ف : انظر بروكلمان ص ٤٩٨) . ويرى بعض المؤرخين ان قيام الدولة الصفوية أدى الى ازدهار القومية الفارسية تحت غطاء المذهب « الشيعي » (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ٣٧٦ . ونحن نرى أن الانماء المذهبي لم يكن مجرد غطاء فقط ، بل كان يمثل فى الواقع قوة دفع مؤثرة وعلى أية حال تغير وضع المذهب الشيعي - الذى كان المذهب الرسمي للدولة - فى القرن السادس عشر حيث قامت لأول مرة بجانب السلطة سلطة دينية يشبه دورها الى حد ما دور الكنيسة فى اوربا ابان العصور الوسطى اذ كانت السلطة الدينية ايضا مرتبطة الى حد ما بالسلطة السياسية . واستطاع

المذهب احتواء العناصر الفارسية التقليدية ليضمن التوفيق بين المذهب الشيعي والتقاليد الفارسية .

ونظرا لان مقابر سبعة من أئمة الشيعة الاثني عشر وأهم مقدسات الشيعة توجد في منطقة العراق اليوم ، ونظرا لان نصف الشعب العراقي كان من الشيعة (ولا يزال حتى اليوم أيضا) ، فقد ظل العراق يحتل بؤرة الاهتمامات الايرانية وأصبح موضوعا لصراعات متعددة بين الدولة الايرانية والعثمانية . جلبت هذه النزاعات الشقاء على المناطق العراقية بينما لم يكن للعراق نفسه سوى دور ثانوي .

وقلم الجانب الإيراني بحسم هذا النزاع انطلاقا من وجهة نظر مذهبية . وكانت إيران حتى وقت قيام الدولة الصفوية قاعدة للمذهب الشيعي ، غير أنها لم تكن مركزا للنشاط والتعليم الديني ، بينما كانت أماكن أخرى هامة للمذهب الشيعي مثل البحرين وجنوب لبنان والأماكن المقدسة في العراق تحظى بأهمية أكبر واستخدمت الدولة الصفوية عند انشائها في القرن السادس عشر المذهب الشيعي لتقوية وتدعيم القاعدة الايدلوجية والقوة الدافعة للدولة الحديثة . واستقدم المعلمون والأساتذة من المراكز الشيعية التقليدية لتحقيق هذا الغرض وشجع على هذا ما كان من التعصب المذهبي الذي كان ظاهرة جديدة في هذه المنطقة . ولذا لا يمكن وصف الدولة العثمانية وكذلك الفارسية بأنها دول قومية بالمعنى الحديث للكلمة . فالدولتان تحملان الطابع المذهبي ، ولأن الانتماء المذهبي على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتكامل الدولة . وثمة ظاهرة مميزة أيضا للوضع الراهن وهي العلاقات ما بين الشيعيين والسنيين في العراق الذين كانوا يشكلون في ذلك الوقت حوالى نصف عدد السكان والذين كانوا يتخذون موقف التخلف والسنبلية ازاء الاتجاهات السياسية للدولتين العثمانية والايرانية . ولم ينتقل الطابع المذهبي للنزاع الى الشعب الذي كان يعيش في العراق والذي كلف موزعا على المذهبين .

وكبعد آخر لهذا النزاع يتعين وضع التدخل المبكر للدول الاوربية في الاعتبار . وحيث ان الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية قوية كانت تمثل خصما قويا للدول الاوربية ، عرضت إيران ان تكون حليفا (جمعة ١٩٨٠ ص ٢١٥) وكانت إيران مهتمة بحدوث مثل هذا التقارب ، وبخاصة في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨ — ١٦٢٩) . وأقام عباس علاقات مع أسبانيا وبريطانيا لتقويض سيطرة البرتغال على الخليج ، وسعى الى تدعيم التعاون العسكري مع الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية . ونجح البعثان الخاصان لإيران في أوروبا وهما البريطانيان روبرت وأنتوني شيرلي في مباحثات تحديث الجيش الإيراني وتسليحه وتوسيع العلاقات التجارية . وفي مقابل ذلك تعهدت إيران بالموافقة على أنشطة الارسلات المسيحية وبناء الكنائس (جمعة ١٦٨٠ ص ٢٥٩) .

١ - ٢ - تاريخ مشكلات الحدود :

فتح الايرانيون بغداد لأول مرة في عام ١٥٠٧ ولكنها عادت للسيطرة الدولة العثمانية مرة أخرى في عام ١٥٣٤ . ووقعت عديد من المعارك العسكرية بين كلتا الدولتين استمرت حتى زوال الدولة الصفوية في عام ١٧٢٢ وكانت هذه الدولة أو تلك تتناوب السيطرة على العراق . وفي عام ١٦٣٩ تطورت النزاعات الى صراعات على الحدود لأول مرة ويجب عند التعرض لمشكلات الحدود وضع العوامل التالية في الاعتبار :

(١) لم يكن العراق يشكل وحدة رسمية معترفا بها . وكانت بغداد والبصرة والموصل ولايات تابعة للدولة العثمانية ، حيث احتلت بغداد بموقعها عاصمة اقليمية وضعا خاصا .

(ب) لم تكن الحدود بين هذه الولايات الثلاث والدولة الفارسية محددة كتابيا ولم تكن الحروب الايرانية نتيجة لمطالب متناقضة على الحدود ، بل كان الدافع هو اهتمام ايران بالسيطرة على بغداد والمقدسات الشيعية وحماية السكان الشيعة .

(ج) تمت تسوية المطالب المذكورة في المعاهدات الاولى بين الدولة العثمانية والفارسية خلال الاعوام ١٥٥٥ و ١٥٩٠ و ١٦١١ و ١٦١٣ وكذلك عام ١٦١٨ ، اما تخطيط الحدود فلم يوضع في الاعتبار ولم يكن موضوعا للمفاوضات وتم تحديد مناطق نفوذ كلتا الدولتين في معاهدة ذهب ١٦٣٩ ، ولكن لم يتم تثبيت الحدود (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١١) .

توجد من وجهة نظرنا ومن استقراء المعاهدات أسباب لهذه الظاهرة وهي : يتشكل الاكراد الذين يعيشون في مناطق الحدود عاملا مقلتا بالنسبة لكلتا الدولتين ، يتكيف مع الجانب الذي يتفق مع اوضاعه السياسية . ويبدو أن تخطيط الحدود لشق الشعب الكردي أمر غير واقعي . ولم تهتم هاتان الدولتان بوضع خط ثابت للحدود قدر اهتمامهما بمناطق النفوذ ، ولعل أوضح مثل على هذا الموقف هو النزاع على حاكم السليمانية (اليوم شمال العراق) الذي كانت بغداد قد عينته هناك ، فقد طالبت ايران بحق التشاور والموافقة على تعيينه . فضلا عن ذلك كان يستوطن الحدود بدو رحل لم يندمجوا في هذه الدولة أو تلك . وجرت محاولات في المعاهدات التالية لحل هذه المشكلات ، حيث لم تطالب هذه الدول بالسيادة على مناطق معينة محددة بل على قبائل معينة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٣ - ٢٠) .

ومن عام ١٦٣٩ فصاعدا كانت مناطق السليمانية وذو موضوعا دائما للنزاع ومعاهدات السلام التالية . ولم يرد ذكر في هذا الوقت للنزاع الحالي

حول مصر شط العرب في أية اتفاقية ، ولكنه أصبح في القرن العشرين أهم مشكلة بين بغداد وطهران ، حيث أن الملاحة لم تصبح مهمة إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبذلك ازدادت قيمة شط العرب ومنذ عام ١٩٣٦ لم تعد دول المنطقة تتصارع على الحدود بل على مناطق النفوذ (١) .

وهناك موضوع آخر للنزاع في الحرب الحالية بين إيران - العراق لم يلعب أي دور في المعاهدات والنزاعات التي ذكرت أعلاه : النزاع على ولاية خوزستان (الاحواز) . وكانت هذه الولاية الواقعة على الخليج حتى عام ١٩٢١ إمارة مستقلة ، تماما مثل أقاليم إيرانية أخرى .

واقامت الولايات الإيرانية المستقلة ، بوصفها إمارات عربية علاقات خاصة مع الدولة العثمانية ، التي كانت قد وافقت عموما في اتفاقيات مختلفة على سيادة إيران على هذه المناطق (٢) . وقد ارتكزت المطالب العراقية عند بداية الحرب الحالية مع إيران على « تحرير » هذه الولايات ، وخصوصا في ظروف النزاع الجديدة التي سنعرضها في الفصل السادس من هذا الكتاب .

١ - ٣ - حروب ومعاهدات

(١) معاهدة ذهب في ٨ مايو ١٦٣٩ :

احتوت كثير من الاتفاقيات ، التي أبرمت بين الدول العثمانية والإيرانية على مدى العمليات الحربية التي استغرقت أكثر من مائة عام ، على اتفاقيات هدنة واتفاقيات سلمية وتم تحديد مناطق النفوذ لأول مرة في عام ١٦٣٩ .

وأهم ما تضمنته اتفاقية ذهب ما يلي :

— ابقاء ولايتي البصرة وبغداد في أيدي الدولة العثمانية .
— احترام وحدة القبائل البدوية . تسيطر الدولتان على قبائل معينة وليست مناطق معينة .

— عدم تحديد خط الحدود ، أما بالنسبة لخصوصيات جغرافية معينة مثل سلسلة جبال زاغروس ، التي كانت تحت سيطرة الدولة الإيرانية ، فقد وضعت تسويات خاصة بها .

— تحديد مناطق النفوذ في كردستان وقيام تعاون مشترك ضد مطاعم الإمارات الكردية المحلية في الاستقلال .

(١) أنظر في هذا العدد نصوص الاتفاقيات المهمة في الملحق .

(٢) مثل ملحوظة رقم ٢ .

(ب) معاهدة ارتسبروم الاولى في ٢٨ مايو ١٨٢٣ :

لم تكن فترة المائتي العام بين معاهدة ذهب ومعاهدة ارتسبروم خالية من الاعمال الحربية . وهكذا غزت الدولة الايرانية بغداد ، ولكن أمكن تسوية اغلب النزاعات بناء على اتفاقية ١٦٣٩ . غير أن نشوب الحرب من جديد في عام ١٨٢١ أدى بعد عامين الى اتفاقية ارتسبروم الاولى ، التي استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

— عدم تدخل الدولة الايرانية في الشؤون الداخلية لولاية بغداد وكردستان اللتين أعيد تأكيد تبعيتهما للدولة العثمانية .

— تنظيم مناطق الرعى للقبائل البدوية .

— حق الايرانيين في الحج الى مكة والمدينة (وكلتا المدينتين كانتا ضمن التراب العثماني) وحرية العبور الى المقدسات الشيعية في العراق .

— اتفاق جديد للتعاون ضد القبائل الكردية والامارات التي حاولت استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

(ج) اتفاقية ارتسبروم الثانية في ٣١ مايو ١٨٤٧ :

ونظرا لان الاتفاقيات السابقة لم تسو مشكلة رسم الحدود بل اهتمت بمناطق النفوذ — نشبت مصالعات عسكرية بين الدولة العثمانية والايرانية . واحتل حاكم بغداد العثماني في عام ١٨٣٧ مدينة خورامشهر الايرانية (غالبيتها من السكان العرب) ، أما الايرانيون فقد احتلوا عام ١٨٤٠ السليمانية في شمال العراق وهددوا بغزو الكويت والبحرين ولما رأت روسيا وبريطانيا ، اللتان تتمتعان بامتيازات عديدة ومصالح اقتصادية في مناطق نفوذهما (روسيا في ايران ، وبريطانيا في العراق) ان الحرب تعرض مصالحهما التجارية والملاحة الآمنة في الخليج ووسط العرب — للخطر ، تدخلتا للتوصل الى اتفاق سلمى ، وتتضمن معاهدة ارتسبروم الثانية ، التي تم التوقيع عليها تحت تأثير وفي وجود كلتا الدولتين الكبيرتين ، التسويات التالية :

— اعادة مدينة خورامشهر المحطة واقليم الأهواز ،

— اعادة السيادة العثمانية على السليمانية .

— تنظيم عملية الملاحة في شط العرب وحق السفن الايرانية في المرور الحر في شط العرب .

— تكوين لجنة تضم ممثلين للدول الأربع (العثمانية والايرانية وروسيا وبريطانيا) لتنظيم خط الحدود . ولكن عرقل عمل هذه اللجنة نشوب نزاعات واحداث جديدة . فضلا عن اندلاع حروب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ .

ولم تتوصل الاجتماعات التالية في اعوام (١٨٦٩ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٦) الى
نية نتائج ملموسة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٨ — ٢٢) .

(د) بروتوكول طهران في ٢١ ديسمبر ١٩١١ :

مع بداية القرن العشرين ظهرت أعراض التدهور على الدولتين العثمانيه
والايرانية وأصبحتا في غاية الضعف لدرجة لا تمكنهما من تحقيق مطالبهما .
وسعت الدولتان الاوربيتان الكبيرتان المتنافستان (روسيا وبريطانيا) الى
تنظيم جديد لمناطق نفوذهما في الشرق الاوسط .

وبعد اكتشاف البترول في الاقاليم الجنوبية لايران في عام ١٩٠١ ومنح
بريطانيا حقوق استخراج البترول — أصبحت ايران محور المصالح البريطانية
واستطاعت الدولتان المتنافستان بعد نزاع استغرق ما يقرب من مائة عام
تحديد مناطق نفوذهما في ايران في المعاهدة الروسية البريطانية عام ١٩٠٧
فأصبح الجنوب الآن من حق « بريطانيا » ، أما الشمال فقد أصبح من حق
« روسيا » (هرويتسى ١٩٥٦ ص ٢٦٦ ف) . وفي هذا الصدد سعت
كلتا الدولتين الكبيرتين الى حل لمشكلات الحدود ، التي تبلورت في بروتوكول
في اجتماعات طهران . ولكن فشلت في طهران الجهود الرامية للتخطيط النهائي
للحدود ، وحولت مرة أخرى الى لجنة للحدود . وأصدرت الدولتان العثمانية
والايرانية بيانات بالتنازل عن حل مشكلات الحدود بينهما بالوسائل العسكرية
وتحويل مشكلات الحدود التي لا حل لها الى محكمة العدل الدولية في لاهاي
(زكى ١٩٦١ — ص ٢٢٦ ، انظر الراوى ١٩٨٠ ص ٢٥) .

(هـ) بروتوكول اسطنبول في ١٧ أكتوبر ١٩١٣ :

أمكن في هذا البروتوكول ، الذى تم تحت ضغط ووجود كلتا الدولتين
الاوربيتين الكبيرتين ، التوصل لأول مرة الى تسوية لخط الحدود . وكلفت لجنة
الحدود التي كانت تتكون من أربعة من ممثلي الدول الأربع بتحديد علامات
الحدود وتضمن البروتوكول الاتفاقيات التالية :

— اخضاع الجزر العديدة الواقعة أمام اقليم عبادان للسيادة الايرانية
وكذلك جميع الجزر التي تنشأ على مر الزمن (ظاهرة جغرافية في هذه
المنطقة) .

— تبعية شط العرب للدولة العثمانية ، ويشكل الساحل الايسر
(الشرقى) حدود الدولة الايرانية .

— تأمين الملاحة الحرة في شط العرب وفي قارون بالنسبة لكلتا الدولتين
وحلفائهما أيضا .

— تختص لجنة الحدود بالاتفاقيات الثلاث :

في حالة عدم اتفاق ممثلي الدولتين العثمانية والایرانية يتعين نقل آرائهما في خلال ٤٨ ساعة لممثلي الدولتين الكبيرتين ، الذين يتولان الفصل في موضوعات الخلاف وتكون قراراتهم نهائية (الراوى ١٩٨٠ ص ٢٧ — ٢٩ .

(و) قرارات لجنة الحدود عام ١٩١٤ :

استأنفت لجنة الحدود الرباعية أعمالها في بداية يناير ١٩١٤ وأنهت في ٢٦ نوفمبر من نفس العام وفي هذه الفترة وضعت علامات الحدود بمحاذاة الخط المحدد وتم تصوير هذه الحدود فوتوغرافيا . فقد سجلت التفاصيل في ٨٧ فصلا ، كانت تحتوي على أول وصف دقيق لمسار الحدود بين كلتا الدولتين . واتخذت فيما بعد أساسا لكل المفاوضات الخاصة بالحدود بين ایران والعراق .

١ — ٤ الصراع العراقي الايراني بعد الحرب العالمية الاولى :

ادى زوال الدولة العثمانية الى اعادة تنظيم المنطقة وفتح الباب أمام صراعات جديدة بين الدولتين الحديثتين ایران والعراق . وقامت بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية اثناء الحرب العالمية الاولى بتقسيم المنطقة الى مناطق نفوذ في اتفاقية « سامكس بيكو » (هروفيتس ١٩٥٦ ص ١١٢ ف) . وغزت بريطانيا العراق في عام ١٩١٧ واصبحت طبقا لمفاوضات السلام في باريس دولة مندوبة وظلت تحكم العراق حتى عام ١٩٣٢ ، بالرغم من اعلانه دولة مستقلة في عام ١٩٢٢ (ابراهيم ١٩٨٣ ، ص ٣٠٨ — ٣١٠) . غير أن مصر كردستان الجنوبية (شمال العراق الآن لم تكن قد حسم بعد . وكانت كردستان بين عامي ١٩١٩ ، ١٩٢٤ مملكة ، وشجعت معاهدة « سيفريه » مساعيها الاستقلالية ، ولكن سرعان ما نسفت هذه المساعي في مؤتمر لوزان بسبب تغير موازين القوى السياسية العالمية (انظر ابراهيم ١٩٨٣ صفحة ٢٩٠) .

وطالبت تركيا ، التي اعتبرت نفسها وريثة للدولة العثمانية وكذلك العراق الذي تأسس حديثا ، بهذه المناطق التي كانت تتمتع بأهمية استراتيجية واقتصادية (منسادر البترول) ، (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٢٨٠ — ٢٨٨ — ص ٣١٢) . وفي عام ١٩٢٥ أصبحت المنطقة وفقا لقرار عصبة الأمم جزءا من الدولة العراقية (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٣٠٨ — ٣١٠) .

واستغلت ایران عدم استقرار الدولة العراقية الحديثة النشأة والصعوبات الداخلية التي تواجهها وطالبت باعادة النظر في الحدود التي قد تم رسمها في عام ١٩١٤ ، بحجة أن هذه التسوية لم تكن في صالحها ، ولم تعترف ایران بالعراق برغم العديد من الوساطات الدولية (بريطانيا) وأعرضت على الرأي العراقي الذي يفيد بان الدولة الجديدة جزء موروث من الدولة العثمانية (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ٣٧) .

وساعد عاملان على اشتعال النزاع من جديد :

(أ) استيلاء رضا خان قائد الجيش الإيراني في عام ١٩٢١ (أطلق عليه شاه ابتداء من عام ١٩٢٥ على السلطة السياسية في إيران بعد انقلاب عسكري وانشأ بمساعدة العسكريين وبتأييد من بريطانيا دولة مركزية اخضعت مراكز القوى المحلية لضغوط مكثفة . وهكذا وضع اقليم — الاحواز الذي كان على سبيل المثال امارة عربية ، ومنطقة للنزاع بين الدولة العثمانية والايرانية ، لسلطة مركزية وفي عهد الشاه بدا تكوين قومية ايرانية جديدة بعيدة عن الاسلام والعرب باحثه عن قواعدها في تاريخ ما قبل الاسلام . وانفجرت بتلك اضطرابات جديدة في العلاقات مع العراق .

(ب) يشكل الشيعة في منطقة العراق ما يربو عن نصف الشعب وكانت الادارة السنية العثمانية تسعى معاملتهم . وقاموا في عام ١٩٢٠ بمقاومة نشيطة للاحتلال البريطاني وساهموا بذلك جوهريا في استقلال الدولة الحديثة ، التي سيطر فيها السنيون على الحياة السياسية بعد تسليم التاج العراقي لفیصل بن حسين الذي جاء من مكة ، وسرعان ما نشأت سيطرة سنية على جهاز السلطة الحديث النشأة ، وبذلك تم ابعاد الشيعيين عن مراكز السلطة . وسنحل كلا هذين العاملين تحليلا تفصيليا في الفصل السادس .

ازدادت حدة التوتر على طول الحدود بدءا من عام ١٩٢٤ (١) . كما أن قانون الجنسية الذي اصدره العراق في عام ١٩٢٤ لم يضمن الجنسية العراقية الا لـمواطني الدولة العثمانية (الراوى ١٩٨٠ ص ٤٢ ف) . وبهذا القانون لم يمنح النظام العراقي الجنسية لمائتي الف شيعي ممن يحملون الجنسية الايرانية كانوا يعيشون عبر أجيال على التراب العراقي وأغلبهم من العرب الذين حاولوا اللوآذ بالدولة الايرانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، لمجرد الهروب من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني وظلت هذه المشكلة مثار توتر دائم من العشرينيات وحتى يومنا هذا ولم يتم التوصل الى حل .

وعملت ايران رغضاها الاعتراف بالعراق لوضع الطائفة الايرانية التي تعيش في العراق . ولم تعترف ايران بجارتها الا تحت ضغط بريطانيا في عام ١٩٢٩ واجريت محادثات ثنائية ، غير أنها لم تسفر عن أى حلول مرضية للمشكلات القائمة . وقامت الحكومة العراقية بتطبيق قانون اقامة الاجانب

(٤) وثائق وزارة الخارجية الايرانية ١٩٢٩ رقم ٢١ الفصل ١٦ ، طهران .

بشكل غير مقبول من جانب ايران . وظلت مشكلة الحدود في شط العرب وكذلك مشكلة الملاحة بدون حل (١) .

قدم كل من العراق وايران مذكرة بمطالبهما الى عصبة الامم في عام ١٩٣٤ التي لم تتوصل الى قرار واكتفت بدعوة الدولتين لحل المشكلة . وكان اهم مطلب لايران هو تقسيم السيادة على شط العرب ورسم الحدود بمحاذاة طريق الوادي على جانبي الممر المائي (٢) .

وادت الاتهامات الغربية والبريطانية لاقامة تحالف اقليمي مناهض للسوفييت الى اجراء مفاوضات جديدة والى ابرام اتفاقية جديدة بين كلتا الدولتين تم التوقيع عليها في ٤ يولية ١٩٣٧ (٣) . وجاءت هذه الاتفاقية منفذة لمطلب ايران حول تحديد الحدود في شط العرب على طول طريق الوادي ، اما المطالب الاخرى الخاصة باجراء تعديلات في الحدود واقامة ادارة مشتركة للملاحة فلم توضع في الاعتبار .

وبناء على الوضع الجديد اقتربت الدولتان احدهما من الاخرى بوسفهما شركاء في حلف مناهض للسوفييت ، واقامتا حتى عام ١٩٥٨ علاقات وطيدة وهادئة الى حد ما (٤) . وتوارت مشكلة الحدود الى الخلف . وسنقوم بتحليل هذا البعد الاقليمي الذي كان له — من وجهة نظرنا اثر في علاقات الدولتين منذ عام ١٩٣٢ في فصل خاص .

دخلت الدولتان مرحلة جديدة من مراحل التوتر بسبب الثورة العراقية في عام ١٩٥٨ التي اطاحت بالملكية الحليفة للبيت الحاكم الايراني . واعلنت ايران في ١٩ ابريل ١٩٦٩ ان اتفاقية عام ١٩٣٧ غير سارية المفعول (فريدمان ١٩٨١ ص ١٦٦) . وتميزت علاقات البلدين في الفترة ما بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٥ بالتوترات على الحدود وتأييد القوى المعارضة في البلد المجاور والتناكس على السيطرة في الخليج . ونصت اتفاقية الجزائر في مارس ١٩٧٥ على ضرورة

(١) تقرير السفير فيروخي ، في : وثائق ، طهران عام ١٩٢٠ ، انظر تقرير السفير الايراني خاديمي في بغداد ، في : وثائق طهران عام ١٩٣٠ .

(٢) تقرير السفير الايراني لدى عصبة الامم ، وثيقة طهران ، عام ١٩٣٤ .

(٣) وثائق ، طهران رقم ٣ الفصل الخامس عشر .

(٤) انظر في هذا الصدد : الكتاب السنوي لوزارة الخارجية الايرانية عام ١٩٥٨ .

وضع حل نهائى لمشكلات الحدود ومشكلات التعاون الامنى . غير أن الثورة الايرانية التى قامت عام ١٩٧٩ وتغير موازين القوى فى المنطقة الغى هذه للاتفاقية من أساسها .

١ - ٥ - اتفاقية الجزائر

تعد هذه الاتفاقية المبرمة فى ٦ مارس ١٩٧٥ آخر اتفاقية بين ايران والعراق وتعتبر من وجهة النظر الدولية أساسا لاية تسوية سلمية للحرب الحالية . وقد أثر عاملان جديدا على مضمون وتشكل هذه الاتفاقية فضلا عن خطة الحدود التاريخية ، وهذان العاملان هما :

— الصراع الاقليمى وكذلك التنافس على السيادة فى الخليج . وأدى هذا للتنافس فى عام ١٩٧١ الى احتلال ايران لثلاث جزر فى الخليج (انظر هاليداي ١٩٧٥ ص ٨٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٢) .

، الحركة القومية الكردية فى العراق ، التى أخذت ابتداء من عام ١٩٧٢ بناء على مساندة ايران والولايات المتحدة لها ، بعدا أكثر اتساعا . وتعين على العراق الاعتراف بالمطالب الايرانية مقابل انهاء الدعم الايرانى للحركة الكردية (١) وجدير بالذكر ان الشاه وصادق حسين نائب رئيس الوزراء العراقى سابقا قد اتفقا فى اطار قمة الأوبك التى عقدت فى الجزائر على النقاط التالية :

— وضع تسوية نهائية للحدود على أساس بروتوكول اسطنبول لعام ١٩١٣ وملفات لجنة الحدود فى عام ١٩١٤ .

— تحديد الحدود فى شط العرب على طول طريق الوادى .
— إعادة الأمن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة وكذلك رقابتهما المشددة لمواجهة العبور غير الشرعى للحدود وما يترتب عليه من أعمال تخريبية .
تعتبر الملاحق المتفرقة للاتفاقية أجزاء من تسوية شاملة ، ولو خرق بند واحد من بنود الاتفاقية تلغى الاتفاقية بأكملها (٢) .

وتتفق الفقرتان الاوليتان مع المطالب الايرانية . ويتبين من قراءة الفقرة الرابعة والثالثة استعداد العراق لتقديم تنازلات . وحيث انه لم يرد اشارة لمطالب العراق بالجزر التى تحتلها ايران فى الخليج ، فان ذلك يعنى من الوجهة الواقعية التسليم بضم ايران لهذه المناطق .

(١) انظر فى هذا الصدد : وثائق الكونجرس الأمريكى (تقرير المخابرات الأمريكية الرئيس لا يريدك أن تقرأ) ، صوت القرية بتاريخ ١٦/٢/٧٦ ص ٧٠ - ٩٢ .

(٢) انظر فى هذا الصدد نص الاتفاقية فى الملحق .

وهدت علاقات كلا البلدين حسنة حتى قيام الثورة الإيرانية ، وتجلى هذا الاستقرار فى العديد من الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية . ولكن عاد التوتر من جديد بعد نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، وفى ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ - أى قبل بداية الحرب بأيام قليلة - ألغى العراق اتفاقية الجزائر بسبب عدم تنفيذ إيران للاتفاقية الثالثة .

١ - ٦ - هل هو اراث التاريخ ؟

يبين الموجز السابق لقصة الصراعات والحروب والاتفاقيات بين الدولة الإيرانية والعثمانية وبين الدولتين الحديثتين إيران والعراق ، جذور الحرب الإيرانية العراقية ويوضح مجال الرؤية التى تستند إليها الحرب الحالية وبخاصة مشكلات الحدود والمطالب الإقليمية المختلفة .

ونحاول هنا فى نهاية معالجتنا للموضوع من الناحية التاريخية أن نبرز مدى تأثير الارث التاريخى على اندلاع الحرب وما هى العوامل التى يتعين وضعها فى الاعتبار .

(أ) لم يؤثر الانتماء المذهبى على النزاعات الدائرة بين كلتا الدولتين القديمتين فقط ، بل أيضا على كيان الدول الحديثة . وقدمت إيران نفسها فى هذه الحروب كدولة شيعية ، سيطر على جهازها الرسمى الطابع الدينى والمذهبى . وتسببت علاقات إيران مع الأغلبية الشيعية فى العراق فى نشوب سلسلة من الصراعات فى التاريخ الحديث .

(ب) يعتبر هيكل المجتمع العراقى والدولة العراقية الحديثة ميراثا لهذه التطورات التاريخية . ويرجع التقسيم المذهبى والعرقى فى العراق الى الحروب والنزاعات المذكورة . وتشكل الأغلبية الشيعية ، التى أبعدها الحكام السنيون عن مجالات السلطة ، عنصر سخط ، وقد تصبح تحت ظروف معينة حليفة لإيران الشيعية . كما أن الاكراد الموزعين على كلتا الدولتين كانوا ، ولا يزالون ، عامل قلق فى هذا الصراع .

(ج) وهناك خلفية تاريخية لمشكلة الجنسية ، التى تظهر فى البيانات الرسمية لكلا البلدين كدافع للحرب ، بعد أن رحل العراق ما يقرب من ١٠٠ ألف مواطن من أصل إيرانى .

(د) وينطبق ذلك على مشكلة الحدود المستعصية الحل وعلى المطالب الأقلية لكلا البلدين . وازدادت حدة النزاعات على الحدود وخاصة شط العرب مع ازدياد أهمية الخليج والبعد الاستراتيجى والسياسى التجارى للملاحة .

وهناك عاملان آخران قد يعتبران ارثا مقلتا من التاريخ ، بالرغم من أن جوانب رسمية اعتبرتهما سببا للحرب وهما : تأييد العراق لمطامع السادة

العربية في منطقة خوزستان وضم ايران لثلاث من الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية في الخليج .

وتوجد عوامل أخرى كثيرة ساهمت في اندلاع الحرب وحددت مسارها ، وهذه العوامل ما هي الا نتيجة لتطورات جديدة في هذه المنطقة . ان الاختلافات الايديولوجية التي أدت الى ظهور تناقضات في النظم السياسي (قومية عربية ونهضة الاسلام) ، وكذلك تدخل الدول العظمى والكبرى بشكل مكثف ، تعتبر ظواهر جديدة تخضع لعملية تحول مستمرة ، ولابد من رؤيتها في سياق النظام الدولي والاقليمي الجديد .

٢ — الأبعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع

أخذ البعد الاقليمي للصراع الايراني العراقي اشكالا جديدة بعد الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من أقلمة وتدويل النزاعات المحلية . ولم يمكن التوصل الى حل نهائي لنزاعات الحدود المزمرة . اما السؤال : لماذا أصبحت هذه النزاعات في غاية العنف في فترات معينة بينما ساد جو من التسامح بين كلا البلدين في فترات أخرى ؟ فلا يمكن الاجابة عليه الا عن طريق اجراء تحليل للعوامل الاقليمية ومصالح الدول العظمى المرتبطة بها .

ونحاول في هذا الفصل تحليل ثلاثة عوامل أخرى ساهمت بجانب التحالفات الاقليمية في اقليمية النزاع وهي : صراعات الدول العظمى ، ظهور القومية العربية وازدهار الاسلام ، حيث أثر العاملان الآخران بوصفهما جوانب ايديولوجية جديدة تائرا بالغا على الحياة السياسية في الشرق الأوسط .

٢ — ١ — تاريخ النزاعات الاقليمية :

ساد في المنطقة جو هادي ومستقر نسبيا في فترة ما بين الحربين لأن سيطرة الدول العظمى على الشرق الأوسط استطاعت الحد من انفجار قوى الصراعات الموروثة (١) . لقد كان اهتمام الدول الغربية الرئيسي ينصب على اقامة تحالف اقليمي يقف حاجزا أمام النفوذ السوفيتي . وعند بداية العشرينيات — أبان صراع الشرق والغرب الأول أرغم الاتحاد السوفيتي أهم دولتين جارتين وهما أفغانستان وايران ، على اتخاذ موقف الحياد . ففي عام ١٩٢٠ عقد الاتحاد السوفيتي مع أفغانستان ، وفي عام ١٩٢١ — و ١٩٢٧ مع ايران اتفاقيات صداقة ألزمت كلتا الدولتين بالحياد التام (يودفنت ١٩٨٤ ص ١٢ — ١٤ ، انظر كيليك ١٩٥٩ ص ٧١) . ولكن المصالح البريطانية

(١) انظر في هذا الصدد الفصل السادس .

الاقتصادية المتنامية في ايران (تتمتع بريطانيا بحق التنقيب عن البترول الايرانى واستخراجه وعزلة الاتحاد السوفيتى المتصاعدة ليس فقط بسبب تفاقم الوضع السياسى فى بلاده — أدى الى تقرب أفغانستان وايران الى الغرب .

ومما يسترعى الانتباه ان بريطانيا وايران جددتا اتفاقيات استخراج النفط فى عام ١٩٣٣ (بنى صدر عام ١٩٨٠ ص ١٤) . وانتهى الانتداب البريطانى فى العراق عام ١٩٣٢ ، ولكن أبرمت اتفاقيات جديدة ضمنت استمرار النفوذ العسكرى لبريطانيا (سلوجيت ١٩٧٦ ص ٢٦٠) . وبذل البريطانيون آنذاك قصارى جهدهم للتوصل الى تسوية نهائية لمشكلات الحدود ، التى نوقشت فى عصبة الامم ١٩٣٣ ولكن دون احراز نجاح أو توصل الى اتفاقيات ملزمة . وبعد مفاوضات طويلة تم اقامة أول حلف سياسى عسكرى فى المنطقة عام ١٩٣٧ ، اشتركت فيه بريطانيا وايران والعراق وتركيا وأفغانستان . ولم يسو ميثاق « سعد أباد » لعام ١٩٣٧ مشكلات التعاون العسكرى ، فقط بل أعلن أيضا الاعتراف بالحدود القائمة وأقر اجراء محادثات مباشرة لتصفية مشكلات الحدود التى لا تزال بدون حل وكذلك ايجاد حل سلمى لكل الخلافات الدولية (ميثاق سعدابان ، طهران ، يولييه ١٩٣٧) . وفى ٤ يولييو جرى فى نفس المكان وكنتيجة لهذا التقارب الاقليمى التوقيع على اتفاقية ايرانية عراقية جديدة . ويتضح من الوثائق الايرانية ان ايران لم تكن مستعدة للتوقيع على هذه الاتفاقية الا تحت ضغط بريطانيا فقط وتحت تأثير الاتفاقية العسكرية (١) .

وتلى هذه الاتفاقية سبع اتفاقيات أخرى بين كلتا الدولتين ، سويت فيها مشكلات الحدود والجنسية وقانون الإقامة ونظمت العلاقات التجارية الثنائية (٢) . وأثرت روح ميثاق سعد أباد على تعايش كلا البلدين فى الاعوام التالية ، وخلقت جوا خاليا نسبيا من النزاعات .

أبرمت بريطانيا وايران والعراق وباكستان وتركيا حلف بغداد ١٩٥٥ . باشتراك الولايات المتحدة كمراقب (انظر كلفوكريس ١٩٧١ ص ١٨٦) . وكان طابع هذا الحلف المناهض للسوفييت واضحا وبخاصة فيما يتعلق بمصالحه الاستراتيجية ، حيث ان الاتحاد السوفيتى الذى خرج من الحرب العالمية

(١) تقرير السفير الايرانى لدى عصبة الامم فى : الكتاب السنوى I , 4 , M طهران ١٩٣٧ ، انظر أيضا جيركه / وفينر ١٩٧٥ ص ١٦٥ .
(٢) نصوص الاتفاقيات السبع فى الكتاب السنوى I , 4 , M ، طهران ١٩٣٧

الثانية كدولة عظمى جديدة كان يبذل قصارى جهده للحصول على منطقة نفوذ في سوريا ومصر (دينكاوس) (١٩٨٢ من ٤٥ : ٥٤) .

وأتت الثورة العراقية في يونيو ١٩٥٨ الى حدوث توتر سياسي مع ايران . وحاولت الكثير من العناصر المعارضة — وبخاصة الاكراد الذين كانوا مضطهدين في ايران — الفرار الى حكومة العراق المناهضة للامبريالية ، وعلى الجانب الآخر هرب كثير من كبار الملاك والقوى الموالية للنظام الملكي الى ايران . واصبحت كلتا الدولتين اماكن للجوء للعناصر المعارضة ، التي تتعاون معها « الدول المضيفة » . واصبحت هذه الاوضاع المشاكسة مادة جديدة للنزاعات .

وتزايدت حدة الاستقطاب لهذا النزاع الثنائي بشكل ملحوظ فيما بعد . فقد انقضت الاطاحة بالنظام العراقي ضربة قاسية بحلف بغداد واختيرت انقرة مقرا جديدا للحلف) ، وادى ذلك الى حدوث تقارب بين العراق والاتحاد السوفيتي . واصبح للعراق اهم حليف للاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط على الاقل في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ (اجينا ١٩٧٣ — ص ٥٢ انظر دينكاوس ١٩٨١ ص ٣٣ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، وكذلك هاري ١٩٦٠ ص ٢٠٠ ف) . وادت التغييرات التي طرأت على النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية الى تدني اهمية الدول الاوربية وصعود الولايات المتحدة الامريكية الى مصاف الدولة العظمى القائمة الى قيام الولايات المتحدة بطرد بريطانيا التي كانت تعتبر اقوى دولة غربية في الشرق الاوسط والحد من مكانتها ، بل أصبحت بعد انقلاب ١٩٥٣ عاملا حاسما في ايران (بنى صدر ١٩٨٠ ص ١٨ — ٢٠) . وتواكب استيلاء حزب البعث العراقي الاشتراكي على الحكم في عام ١٩٦٨ مع واحد من اهم الاحداث السياسية بعيدة المدى الا وهو انسحاب بريطانيا من الخليج والبحر العربي . وتوسعت كلتا الدولتين العظمى وحلفاؤهما الى ملء الفراغ الذي أحدثته انسحاب بريطانيا . وسعت كل من ايران والعراق — اهم واقوى دولتين في الخليج — للسيطرة على الخليج . ولا يزال هذا التنافس طامع العلاقات بين الدولتين حتى يومنا هذا (انظر هاليداي ١٩٧٥ ص ٧٥ — ٨٠) .

وكانت مطامع السيطرة الاقليمية مرتبطة في جانب منها بموازين القوى الجديدة بين الدول العظمى وبالعلاقات بين الدول العظمى وحلفائها في الجانب الآخر . واصبحت ايران اهم حليف للولايات المتحدة بجانب اسرائيل ، ووطئت ايران قوتها الاقتصادية والعسكرية الضاربة في بداية السبعينات ، بحيث أصبحت اقوى قوة عسكرية قيادية في المنطقة ، بل ثاني اقوى دولة (بعد الهند) في المحيط الهندي . اما سياسة الشاه التي كان ينتهجها والتي اعطت لايران دور الشرطي الاقليمي فقد كانت ترمي الى هدمين : اولهما ختمية المصالح الاقليمية الغربية ومقاومة الميل الثورية في المنطقة . ففي اقليم « ظفار » بعمان

كانت هناك حرب عصابات يسارية تساندها الصين والعراق ، تثير قلق القوى الحاكمة في الخليج كما فجرت الثورة الفلسطينية موجة راديكالية . ولم يمكن القضاء على للفورة في عمان الا بمغوة التدخل المباشر للقوات المسلحة الايرانية . واستولت ايران في عام ١٩٧١ على اهم ثلاث جزر استراتيجية في الخليج (أبو موسى ، و طاب الصنوبري والكبرى) التي كانت تابعة لدولة الامارات العربية (هاليداي ١٩٨١ ص ٢٥ - ٣٢ ، ص ١١٢ - ١١٦ ، انظر يودفات ١٩٨٤ ص ٣٦ - ٤٨ (١) .

وأدى الوضع الداخلي في العراق (حركة المقاومة الكردية) والعوامل الاقليمية (نفوذه ايران) الى التقارب العراقي - السوفيتي . ووصل هذا التقارب العراقي - السوفيتي ذروته بتوقيع معاهدة الصداقة في ابريل ١٩٧٢ وتشكيل حكومة ائتلافية بين حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي الموالي للاتحاد السوفيتي (يودفات ١٩٨٣ ص ١٠ - ١٩) .

وأدى الارتفاع الهائل في أسعار البترول وما صاحب من ارتفاع في الفوائد التي تدفقت على تسليح الجيش في كلا البلدين ، الى زيادة اطماع السيطرة الاقليمية لكلا البلدين . وتميزت هذه الفترة بهزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية ، ووقفت هذه التجربة والخوف من تورط جديد في نزاع اقليمي - عائلاً أمام تطبيق مبدأ نيكسون ، الذي كان يمنع الولايات المتحدة الامريكية من التدخل العسكري المباشر بينما يسمح لها بتقوية الحلفاء الاقليميين . وأكدت زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون لايران دور وأهمية هذا البلد كعامل قوة اقليمي في مفهوم نظرية نيكسون (خوين ، تسليب ١٩٧٤ ص ٢٤٦ ، انظر كيسنجر ١٩٧٩ ص ٣٤٠) .

لم يكن الدور الذي لعبته هاتان الدولتان بالنسبة للمعارضة هو السبب في اشتعال الصراعات والاستقطاب الدولي واطماع السيطرة الاقليمية على المنطقة . وأطلق الرئيس العراقي صدام حسين على هذا الصراع ذات مرة « صراعاً بالنباة » .

٢-٢- تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة :

وصل النزاع بين ايران والعراق ذروته في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ حيث ظهر تنافس كلتا الدولتين العظميين على المستوى الاقليمي . وكثفت ايران

(١) كانت مطمح السيادة ملحوظة من جانب العراق أيضا . فقد طالب رسمياً في عام ١٩٦١ بالكويت القائمة حديثاً واعتبرتها جزءاً من مقاطعة البصرة (خضوري ١٩٧٤ ص ٢٢٧ - ٢٣٤) وطالب في عام ١٩٧٣ بكتلا الجزيرتين الكويتيتين بوبيان وعربيه ، حتى « يمكن أن يكون العراق بذلك دولة من دول الخليج » (كيلي ١٩٨٠ ص ٢٨٣) .

والولايات المتحدة تأييدهما المشترك للحركة القومية الكردية في العراق وذلك بعد عقد اتفاقية الصداقة العراقية السوفيتية . وحاولت الولايات المتحدة ، كما اتضح فيما بعد من وثائق امريكية ، من خلال تأييدها للحركة القومية الكردية الضغط على النظام في العراق للحيلولة دون تقوية التحالف العراقي السوفيتي (تقرير بيك ٢٦ ، انظر ابراهيم ١٩٨٣ ص ٧١٩ — ٧٢٤) .

واشترك الجيش الابرائى الى حد ما في حرب المقاومة اليسارية التي يساندها العراق في سلطنة عمان . في هذا الوقت كان اعتماد العراق على المعونات العسكرية السوفيتية في تزايد مستمر . ولم تستخدم اسلحة ومواد حربية سوفيتية فقط في الحرب ضد الحركة القومية الكردية بل اشترك ايضا مستشارون عسكريون وطيارون سوفيت (زيم ١٩٨٠ ص ١٢) .

ورأى العراق نفسه مضطرا ، تحت الظروف المذكورة وتحت تأثير حركة المقاومة الكردية الجيدة والعدة والعتاد (١٠٠ ألف رجل) ، الى ابرام اتفاقية جديدة في الجزائر مع ايران في مارس ١٩٧٥ ، خضع فيها لمطالب ايران الجهورية . واثرت هذه الاتفاقية ، التي أبرمت تحت ظروف تورط الدول العظمى الاقليمية ، على الوضع السياسى في المنطقة وادت الى قيام تحالفات جديدة . وابتعد العراق بعد ابرام الاتفاقية عن الاتحاد السوفيتي ، واقترب من ايران والدول العربية المحافظة وبخاصة المملكة العربية السعودية . وحجب تأييده عن حركة المقاومة في عمان ، وانتهج سياسة معتدلة في المنطقة . ووضح هذا التحول السياسى تصريح صدام حسين نائب الرئيس العراقى وقتذاك ، الذى يفيد بتقديم العراق معونات عاجلة للسعودية في حالة أى غزو سوفيتي (غريدمان ١٩٨١ ص ١٨٤) . وهكذا تم الغاء الائتلاف بين حزب البعث والحزب الشيوعى الموالى للسوفييت وانكشفت العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، وازدهرت — على العكس من ذلك — التجارة مع الدول الغربية (غريدمان ١٩٨١ ص ١٧٦ ، انظر يودفات ١٩٨٣ ص ٨٧ ، ١٢٩) .

ومع ذلك لم يحدث تحول حقيقى في السياسة العراقية ، فالتنافس مع ايران وبخاصة حول السيادة على الخليج ، كان للطابع المميز للعلاقة بين البلدين . فضلا عن ان العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة لم تكن قد استؤنفت بعد ، اما العلاقات مع الاتحاد السوفيتي فكانت ذات أهمية من بعد مثلما كانت من قبل . وادت اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية والسياسة العربية التى كانت موجهة ضد هذا الصلح المنفصل فى النهاية الى عدم الاستقطاب فى المنطقة بل ترتب على ذلك تورط اقليمى معقد ومتشعب للدول العظمى فى المنطقة . نحاول فى نهاية هذا الفصل تحليل سياسة الدول العظمى فى هذا الوضع الجديد قبل اندلاع الحرب الارانية العراقية .

ولم يؤد انتصار الثورة الايرانية الى تغيير الظروف السياسية في المنطقة فقط ، بل ادى ايضا الى وقف عهبة التقارب التي كفت مستمرة منذ عام ١٩٧٥ بين العراق وايران (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٦٢٧ — ٦٣٠) . ونظرا لان النزاع العراقى الايرانى يوصف دائما بأنه ايديولوجى بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، فسوف نتناول فيما يلى هذين العاملين بوصفهما ظاهرتين مهمتين اقليميتين اشتركنا في تقرير هذا الحرب .

٢ — ٣ الوحدة العربية :

تعتبر القومية العربية التى سعت الى توحيد الامة العربية المقسمة الى دول عديدة — تعتبر هذه القومية ظاهرة حديثة نسبيا لم تتبلور الا بعد الحرب العالمية الثانية . فقد وجه القوميون العرب المحدثون نظريتهم متأثرين بذلك بالمفهوم الاوربى « للامة » والدولة القومية — بصفة خاصة الى الامة العربية التى قسمها الاستعمار (انظر طيبى ١٩٧١ ص ٦٨ — ٨٤) .

ظهرت الفكرة القومية في آخر مراحل الدولة العثمانية . فقد جرى التفكير في اختراع قومية عثمانية على النمط الاوربى الحديث لتحويل انظار المجتمع الاسلامى الضعيف البنية الى وحدة جديدة . غير أن ازدهار وسيطرة القومية التركية في الدولة العثمانية دفعت العناصر الكردية والعربية الى الابتعاد . وتشكلت كرد فعل على هذه السيادة التركية التصورات والاهداف القومية العربية . ومن سخريه التاريخ أن يكون المنظرون الاوائل للمفهوم الفاشل للقومية العثمانية هم الذين أسسوا القومية العربية مثل الحصرى (انظر كوثرالى ١٩٨١ ص ٧٨ ف) .

وتجد بتأسيس حزب البعث الاشتراكى العربى في عام ١٩٤٧ — اول تفسير تنظيمى عن هذه الايديولوجية . وقد قدم هذا الحزب ، الذى تأسس في سوريا بمشاركة واضحة من عرب مسيحيين ، نفسه على أنه منظمة عربية وحدوية وان كان له تنظيمان في بلاد عربية أخرى . وكان هدفه السياسى النضال ضد التقسيم الامبريالى للعالم العربى (انظر اسماعيل ١٩٨٣ ص ١١٠ ف ، انظر مفيؤل عام ١٩٨١ ص ٣٦١ — ٣٨٣) .

وناسست في ١٩٥٢ حركة عربية قومية أخرى وهى حركة القوميين العرب وانعقدت الجمعية التأسيسية لهذه الحركة في بيروت باشتراك عدد كبير من طلبة الجامعة الامريكية وكثير من المسيحيين (ومؤسسها د . جورج حبش) (انظر طيبى ١٩٧١) .

وبالرغم من أن كلا الحزبين العربيين الوجدويين تشكلا في بلاد عربية مختلفة ، وكونا منظمات في بعض البلاد (من بينها العراق أيضا) بالرغم من هذا نجد أن ايديولوجية القومية العربية لم تتطور الى فكرة لها أهمية اقليمية الا في عهد ناصر . فقد اعتمد ناصر — بوصفه زعيما لاكبر وأهم دولة

عربية ، في الصراع مع اسرائيل والدول الغربية — اعتمد ناصر على افكار وتصورات القومية العربية ، بالرغم من عدم توفر القاعدة الايديولوجية لذلك في مصر نفسها ، وكانت عناصر القومية العربية قد نشأت . حتى ذلك الحين في الدول العربية الشرقية بصفة خلسة . ولم تأخذ هذه الافكار شكلا اجتماعيا وايدولوجيا واضحا الا في عهد ناصر على هيئة مفهوم عربى للاشتراكية (ناصر ١٩٥٧ ، انظر خضوري ١٩٨٥ ، ص ١٧٤ — ١٨٠) .

وبرغم الصيغ والتصورات المختلفة لفكرة القومية العربية ، كانت حافة التنظيمات والاتجاهات المختلفة تتفق في النقاط التالية :

— حتمية الثورة العربية ، ازالة الحدود التي خلقها الاستعمار بالاكراه ، واتمام امة عربية موحدة .

— مقاومة اسرائيل بوصفها دولة زرعتها الغرب في قلب العالم العربى .

— اقامة نظام سياسى واجتماعى مستقل عن الغرب والشرق ، يأخذ الشكل الاشتراكى ، ويختلف عن النموذج الماركسى السوفيتى ببعض الخواص (عفلق ١٩٦٢ ص ١٩٣ — ١٩٨ ، ص ٢٠٦ — ٢١١ ، انظر خضوري ١٨٥ ص ١٢٣ — ١٢٦) .

وهكذا أصبحت القومية العربية في الستينيات احدى الظواهر الهامة وأحد عوامل القوة في العالم العربى . ودفع تأثير القومية العربية على طبقات مثقفة وعسيرة وبخاصة على أجزاء من الجيش ، دفع هذا حركات المقاومة لاعتلاء قمة السلطة . فقد استولى حزب البعث الاشتراكى العربى على السلطة في العراق في شهر فبراير ١٩٦٣ وفي مارس من العام ذاته استولى على السلطة في سوريا ، كما قامت في اليمن الجنوبي « الجبهة الوطنية لتحرير اليمن الجنوبي » (احدى فروع حركة القوميين العرب التي تكونت في بيروت) بحملة ضد السلطة الاستعمارية البريطانية ، وأطاحت حركة التحرير الجزائرية تحت قيادة بن بيللا بعام ١٩٦٢ بالاستعمار الفرنسى بعد حرب استغرقت ثمانى سنوات وابضاً بفضل الدعم الهائل من جانب ناصر .

وبجدير بالذكر أن مصر في عهد عبد الناصر تولت القيادة في العالم العربى وأصبحت فكرة القومية العربية هي الحافز الرئيسى في الحرب ضد اسرائيل وسهلت أيضاً عملية التعبئة الجماهيرية في هذا الصراع . وقامت مصر بإرسال قوات إلى اليمن الشمالى لمساندة القوى الجمهورية في الحرب الاهلية ضد العناصر الملكية التي تساندها السعودية . وأقامت مصر وسوريا جمهورية عربية متحدة في عام ١٩٥٧ . ولدى النفوذ المتزايد لناصر في لبنان أثناء الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٥٨ الى نزول وحدات قوات امريكية (انظر خضوري ١٩٧٤ ص ١٨٠) .

وابت القومية العربية كظاهرة جديدة تجاوزت الحدود أى قيام تحالفات اقليمية جديدة . فانقسم العالم العربى الى جبهة راديكالية ديناميكية بزعامة ناصر وأخرى محافظة استاتيكية بزعامة السعودية والاردن ودول أخرى . وسرعان ما انفجر الصراع في نهاية الخمسينيات بين عامى انقوه الاقليمى الطامع وهو ايران بزعامة الشاه وبين القومية العربية بزعامة عبد الناصرحول هوية الخليج هل هو عربى أم فارسى — وأثر هذا البعد الاقليمى للنزاع على ميزان القوى الاقليمى للدولتين العظيمين بل أثر على مصر القومية العربية نفسها .

وكانت أهم سمات الفكر القومى العربى في البداية هى العداء للشيعوية والاتحاد السوفيتى . وكانت الشيوعية تعتبر العدو الايديولوجى الرئيسى للاشتراكية العربية (خضورى ١٩٨٥ ص ١٦٤ — ١٦٦) . وعلى الجانب الآخر لم تكن المواجهة مع العالم الغربى حضارية وايدىولوجية . ولم يعط القوميون العرب في محاربتهم للاستعمار والسيطرة السياسية العربية ومطالبتهم بالاستقلال ، اهتماما كافيا للبعد الاقتصادى والحضارى للاستقلال ، بل انهم اعتبروا النموذج الغربى هو النموذج الاساسى للدول حديثة الاستقلال . على الرغم من المواجهة السياسية في الغرب ومقاومة وجوده . ويمكن ضعف ايدىولوجية القومية العربية في غياب الوعى بشكل هذه الايدىولوجية الأمر الذى ساءد على نشدان القومية العربية لاهيتها في السبعينيات وعلى نهوض الإسلام .

وانتت النتائج السياسية على موازين المنافسة بين الدول العظمى تأثير واسع المدى . ورات القومية العربية التي حاربت المستعمرات القديمة في اسين الجنوبية والجزائر والنظم التي يريدونها ان تحارب وتكسر اسرائيل التي يؤيدونها الغرب أيضا رأت نفسها مضطربة مع الوقت ، برغم الموقف المأهض من جهة ناشيعوية ، الى التحالف مع الاتحاد السوفيتى . وأصبحت القومية العربية بعد تأييد الاتحاد السوفيتى لصر في حرب ١٩٥٦ — والتطورات الثورية في العراق وبعض دول عربية أخرى قناة النفوذ للاتحاد السوفيتى في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية . كما شكلت الانظمة القومية العربية في العراق وسوريا وأيضا في مصر في عهد ناصر التي كانت تقوم بقمع ديموى للمعارضة الموالية للسوفيت — شكلت هذه الانظمة تحالفا اقابيا مع الاتحاد السوفيتى موجها ضد الغرب .

ولم يكن هذا التحالف اختراقا لتحفظات القومية العربية المأهضة لاشيعوية بل أيضا اختراقا للعقيدة الستالينية المأهضة للقومية في الايدىولوجية السوفيتية . ولم يتوقف الجـدال الايديولوجى الذى استغرنه سنوات طويلة مع القومية العربية الا بتطبيق مبدأ خروشوف المبني الذى

اعترف بالمضمون التقدمي والمناهض للاستعمار للايديولوجية القومية العربية صانع ١٩٨٣ ص ١١٨ - ١١٩ ، انظر داويشا ١٩٨٢ ص ١٠ ف ؛ -

وثمة ركن هام في موضوعنا هو وضع الاسلام في مفهوم القومية العربية وتختلف مواقف القومية العربية المختلفة من الاسلام اختلافا كبيرا . ولتشد اكد ناصر أهمية الاسلام بالنسبة للقومية العربية وارتباط الاسلام بالقومية العربية (انظر ناصر ١٩٥٥ ، خضوري ١٩٨٥ ص ١٨١ ف ، ١٩٤) . ويعود رأى ناصر الى النفوذ القوى للاسلام في بنية المجتمع المصرى . غير ان حزبا البعث في العراق وسوريا اتخذوا موقفا متباعدا وناقدا للاسلام ولا يرجع ذلك، في المقام الاول الى تركيبة قيادة الحزب .

عموما كانت القومية العربية علمانية . وظهر ذلك من مثال حزب البعث - وكانت هذه الايديولوجية تهدف الى فصل الدين عن السياسة ولا ترى في الاسلام الا ارثا تاريخيا . فقد ساهم الاسلام في الواقع في تكوين الأمة العربية ، غير انه مرغوف من وجهة النظر العصرية لانه عنصر محافظ ورجعى ولا يقدم اى بديل سياسى واجتماعى (علق ١٩٦٣ ص ١٢٢ - ١٣٦) ، انظر (زيلدية ١٩٨١ ص ١١١ - ١١٨) . واصبح واضحا ان هناك حتمية للمواجهة بين هذا المفهوم الايديولوجى وبعض التيارات الاسلامية .

وتدهور حزبا البعث في العراق وسوريا للصراع بين مراكز القوى المتنافسة بعضها مع بعض ، كما انمحت الناصرية بموت مؤسسها في عهد السادات . وحاول العراق استغلال عزلة مصر بعد اتفاقية السلام مع اسرائيل ، ليتولى قيادة العالم العربى . وساعد في تنفيذ هذه المطالب السياسية عوائد البترول النسخة وتدعيم القوة العسكرية وكذلك الطموح الشخصى للرئيس العراقى صدام حسين . فالعراق يمثل - وفقا لفكرة عربية قومية قديمة - البوابة الشرقية للعالم العربى ، التى تستطيع حماية الوحدة العربية من اى تهديد خارجى ياتىها من دول غير عربية .

٢ - ٤ - الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية

نظرا لان مفهوم الوحدة الاسلامية مرتبط بالنهضة الاسلامية الحديثة وكذلك بالثورة الاسلامية فى ايران ودائما ما يعتبر ظاهرة أساسية فى الحرب العراقية الايرانية الحالية - وهذا سبب يؤدي دائما الى سوء التفاهم - أصبح من الضروري شرح العلاقة ما بين الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية .

ويرجع مفهوم الوحدة الاسلامية الى المصلح الاسلامى جمال الدين الافغانى، الذى أراد ان يضيف بافكاره وحركته السياسية فى نهاية القرن الماضى بعدا اسلاميا جديدا على الدولة العثمانية التى تعرضت لاختراق غربى متعدد الجوانب فاقترح

الأفغانى العديد من الاصلاحات بهدف استقلال البلاد الاسلاميه عن النفوذ الغربى
وبهدف اتحاد الشعوب الاسلاميه بحيث يتولى العرب بوصفهم اكبر شعب اسلامى
دور القيادة . وبرغم الصدى الواضح لهذا المفهوم - والذي لا يزال يؤثر للآن -
نجد أن ذلك لم يؤثر فى مصير « الرجل المريض » . (عمارة ١٩٨٥ ص ٣١٣ -
٣١٦ ، انظر خضورى ١٩٨٠ ص ٧١ - ٧٧ ، انظر اقبال ١٩٨٥ ص ٨٧) .

ولم يؤثر المفهوم الاسلامى بعد انهيار الدولة العثمانية أدنى تأثير على
السياسة الموضوعية كما كان من الصعب أن يكون هذا المفهوم بديلا موضوعيا
للدول القومية . ولا يمكن النظر الى النهضة الاسلاميه فى السنوات الاخيرة الا
فى الاطار المحدود لها لهذه الافكار التاريخية (انظر عمارة ١٩٨٥ ص ١٦٧ ١٧٠) .

ولم يظهر فى مرحلة ما بين نهاية الحرب العالمية الاولى (انهيار الدولة
العثمانية) ونهاية السبعينيات (ظهور « النهضة » الاسلاميه العصرية الجديدة)
أى حركة اسلاميه كبديل سياسى ، باستثناء (الاخوان المسلمون) . وحكمت
الدول الحديثة طبقات عصرية وقوى قومية (قومية عربية وقومية ايرانية وقومية
تركية) أهملت دور الاسلام كعامل سياسى .

ولكن المؤسسة الدينية وبعض جماعات اسلاميه اخرى كانت تعترض على
السياسة العصرية التى تعترض على تدعيم الاسلام كبديل سياسى . غير أن
المنظمات الاسلاميه ، مثل (الاخوان المسلمون فى مصر) ، تصالحت مع الدولة
الحديثة منذ عام ١٩٢٨ وقصرت أنشطتها السياسية على تنفيذ الاصلاحات الاسلاميه
داخل هذه الدول (انظر خضورى ١٩٨٥ ص ٨٨ - ٩٦) وتعد النهضة الاسلاميه
اليوم تعبيرا عن المواجهة مع الحضارة الغربية ونتيجة لها . فهى تمثل حركة
تاريخية فى جزء من العالم الثالث ، ينعكس عليه دائما الصراع بين الشمال
والجنوب الذى ينتهى دائما الى طريق مسدود . ولا يمكن تفسير النهضة
الاسلاميه - كما تقدمها وسائل الاعلام الغربية خطأ ، على انها عودة الى الدين
بل انها تتضمن قبل كل شئ عوامل حضارية وسياسية متعددة . فالاستعمار
وما اكبه من تطور اجبارى أدى الى اغتراب عميق وأزمة اجتماعية متعددة
الوانب فى المجتمعات المستعمرة ومجتمعات ما بعد الاستعمار ، وتشكل هذه
الامور الخافية التاريخية للنهضة الاسلاميه .

ودفع انهيار القومية - وبخاصة العربية - وكذلك البناء الضعيف والهش
للدول القومية الحديثة فى الشرق وعدم كفاءة الطبقات الحاكمة فى ضمان تطو.
اجتماعى يتناسب مع ظروف مجتمعاتهم ، دفع هذا كله - بجانب عوامل أخرى
كثيرا من الناس وبخاصة الدوائر المثقفة للبحث عن بديل جديد فى الاسلام
بوصفه نظاما اجتماعيا قائما منذ أكثر من ألف عام ويتطور باستمرار . ويمكن
فهم النهضة الاسلاميه اذا وضعنا نصب أعيننا فشل عملية التحديث طبقا

لنموذج الغربي (مثل تركيا ، وايران فى عهد الشاه) ، وفشل البدائل اليسارية التى حاولت فرض نموذج غريب على المجتمع دون مراعاة لتاريخ وحضارة وتقاليده البلاد .

واذا كانت الثورة الاسلامية فى ايران قد استفادت من طموحات النهضة الاسلامية فى المنطقة فانها لم تكن سببا بل رمزا لهذه النهضة . وبجانب الثورة الايرانية يمكن رصد احداث اخرى تشير الى أن الاسلام أصبح عاملا سياسيا جوهريا فى المنطقة (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٦ — ٨) :

— احتلال المسجد الحرام فى مكة والتعرد فى الاقليم الشرقى من السعودية .

— المقاومة الإسلامية ضد الغزو السوفيتى لافغانستان .

— الحركة الاصولية الاسلامية المسلحة ضد نظام البعث فى سوريا .

— اغتيال الرئيس السادات وازدياد قوة التيارات الاسلامية فى مصر بعد الاغتيال .

— النهضة الاسلامية فى السودان وتطبيق الشريعة الاسلامية فى هذا البلد .

— الانتفاضات الشعبية فى الجزائر وتونس والمغرب .

— اعتداءات بالقنابل فى الكويت ومحاولات التخريب فى البحرين .

— المقاومة الاسلامية والاعمال الانتحارية فى لبنان ضد الاسرائيليين والقوات الفرنسية والامريكية (ويكجيان ١٩٨٥ ص ٣) .

ورغم اختلاف هذه الاحداث نجد أن هناك شيئا واحدا يربط بينها وهو رفع راية الاسلام . ولقد أصبح الاسلام الايديولوجية الرئيسية فى العالم الاسلامى ، ومع ذلك لا يزال المصير السياسى لهذه النهضة الاسلامية الجديدة غامضا . فالنهضة الاسلامية نفسها ليست ظاهرة موحدة على الاطلاق فكثير من الاتجاهات الاصولية المتطرفة التى تسير بمصير النهضة الاسلامية الى طريق مسدود . ويجب مراعاة الجوانب التالية عند النظر الى العلاقة بين القومية الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية فى ايران لا .

(١) بالرغم من أن الهدف المعلن للحركة الاسلامية هو اقامة وحدة اسلامية نجد أن الحركات الاسلامية المختلفة مرتبطة بالحدود القومية والقبائلية المذهبية . فغالبا المنطلقات الاسلامية تطور أنشطتها فى اطار التبعية القومية والمذهبية فقط ، مثل حزب الدعوة فى العراق ، وجهة التحرير الاسلامية فى البحرين أو حركة الاتجاه الاسلامى فى تونس . وهناك بعض

الجماعات ، في لبنان مثلاً تقصر انشطتها على جزء من البلد (ديكجيان ١٩٨٥ ص ١٢٧ — ١٢٩ — ١٤٩) . وتعد (الاخوان المسلمين) المنظمة الاسلامية الوحيدة التي انتشرت في بلاد متعددة . ولكن لا يوجد اتصال بين التنظيمات المتفرقة في مصر والاردن ودول أخرى ، الأمر الذي يتضح في الممارسات السياسية المختلفة . فهم يعتبرون وحدة العلم الاسلامي انهدف السياسي الوحيد ولكنه لا يوجد في جدول الاعمال : فليس لدى الاخوان المسلمين مفهوم اسلامي وحدوي حديث (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٨٥ — ٨٩) .

(ب) شهدت البلدان الاسلامية في الآونة الاخيرة خلافات قوية ، واصبحت هذه الظاهرة تشكل الوجه السلبي للنهضة الاسلامية . فعلى حين اهتم الأزهر في وقت ما — بتشجيع من ناصر وبمساعدة رجال الدين الشيعيين في كل من ايران واليمن — بالتقريب بين التيارات المذهبية المختلفة ، اظهر نشاطا في هذا الصدد — نجد أنه لا يمكن ملاحظة مثل هذه المساعي في العشرين سنة الأخيرة (انظر شلتوت ١٩٨٤ ص ١٥ — ١٩) وحتى ايران ، بالرغم من ادعاءاتها الاسلامية على هذا المستوى لم تقم بأية مبادرة ملموسة . بل أدت الاختلافات المذهبية — مثلما يحدث في لبنان — إلى مواجهات مذهبية — الأمر الذي جرد المثال الإيراني من جاذبيته للعالم الاسلامي .

ومن الجدير بالذكر أن حركة الوحدة الاسلامية التي دعا اليها الأفغانى في مستهل القرن العشرين وجدت لها في مصر وبعض دول عربية أخرى ، وليس في ايران قاعدة (انظر عبارة ١٩٨٥ ص ٢٢٣ ف ، ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٣٢٠) . ويقف الطابع الشيعي للنظام الاسلامي في ايران في حد ذاته حاجلا أمام أى مسعى للوحدة تحت قيادة شيعية . وينطبق ذلك أيضا على الشعارات الإيرانية التي تتحدث عن نشر الثورة الاسلامية وليس مفهوم الوحدة الاسلامية .

وتعتبر النظرية الإيرانية الخاصة « بولاية الفقيه » من التعاليم الشيعية البحتة ، التي ما زالت موضع خلافات حتى داخل الاوساط الدينية الشيعية نفسها وهذه النظرية ترفضها المدارس الدينية السنية (عبارة ١٩٨٥ ص ٢٣٩ — ٢٤٤ ، انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٤٢ — ٤٦) . وقد ترتب على ذلك ضيق المجال الطبيعي « للثورة الإيرانية » غير أن النفوذ الإيراني قد يؤدي الى زعزعة الوضع في البلاد التي بها أقليات شيعية ، مثل العراق والبحرين وبعض دول أخرى في الخليج أو يؤثر على تغيير ميزان القوى في هذه البلاد بين الشيعة والسنة ، ولكن لا يمكن أن يؤدي الى حدوث تحول جذري واساسي أو حتى اتفاق اسلامي وحدوي مع ايران (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ١٥٦ — ١٥٧) .

على الرغم من التوجه الايديولوجي الاسلامي لايران والتوجه القومى العربى للعراق ، نجد انه قد يكون غير كاف اعتبار النزاع العراقى الايرانى تعبيرا عن صراع بين الوحدة الاسلامية والقومية العربية . وان كان هذا التشخيص يوجد فى دعاية كلا البلدين ، ولكنه لا يصلح اطلاقا لتوضيح الاسباب الحقيقية للحرب ... ويقول آية الله خمينى .

« انكم تعرفون ان هذه الحرب بين ايران ونظام البعث العراقى عبارة عن حرب بين الاسلام والكفر ، بين القرآن والاحاد » . « يجب على الشعب الايرانى أن يعرف انه يحارب لخدمة الاسلام . دافعنا هو مبادئ الاسلام . وما زالت تقاليد المناضلين المسلمين الاوائل باقية . لقد واجه النبى صعوبات جسيمة : ولكن بالرغم من ذلك قلوبهم . واود أن الفت نظر شعبنا الى ما يلى : ان القضية هنا تتعلق بالاسلام .. ونحن نناضل من أجل الاسلام وندافع عنه » . (رسالة الخمينى فى ٢٤/٩/١٩٨٠) (٥) .

وتقول النظرية الايرانية الرسمية عن القومية :

« لا يمكن أن يكون طابع جمهورية ايران الاسلامية قوميا والا ما كانت اسلامية بعد ذلك ، لان الاسلام لا يعرف (الوطن) كمفهوم اسمى » ولكن الامة جميعا . والوطن مفهوم أدنى من الامة .. ان ايران دولة ذات شعوب متعددة . ويجب ألا يرد على ذهن أى جماعة من هذه الشعوب أنها تتمتع بأهمية اكبر من الأخرى » (اقبال ١٩٨٥) .

ويحدد النظام العراقى الاتجاه الدينى لقيادته الاسلامية فى تأكيده التوجه القومى بقوله :

« يفكر الخمينى بطريقة طائفية مذهبية عقسدية جامدة — ويرفض اما عن عدم معرفة أو مجرد تعنت فكرى مثل الامة والوطن ، التى لا تتعارض بأى حال من الاحوال مع النواحي الدينية » (اقبال ١٩٨٥) .

وما زالت هذه التصورات موضع جدل ولا يمكن الدفاع عنها علميا . ولا يوجد هناك داع لوصف نظام البعث العلمانى بأنه كافر ، لأن الدستور العراقى يعترف بالاسلام كأساس دينى للدولة . وأيضا اذا رفضت القيادة الايرانية مفهوم الوطن وحددت ايران بأنها دولة متعددة الشعوب على أساس « أمة » ، فلا تكون الجمهورية الاسلامية خالية من الطابع القومى . كما أنه عند انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ منع جلال فارسى زعيم الحزب الجمهورى الاسلامى من الترشيح لأن والده من أصل أفغانى (ايتلات ١٩٨٠/١/٦) . وأرغمت الحرب القيادة الايرانية على تأكيد الطابع الاسلامى

(٥) مقتطفات من اقبال ١٩٨٥ ص ٨٥ .

للحرب فصلا عن طابعها الوطنى ، لحت الجيش على اندفاع عن الوطن الاسلامى .

وجدير بالذكر أنه منذ اندلاع الثورة حتى بداية الحرب قامت أجهزة الاعلام الايرانية بحملة دعائية قوية معادية للقومية ، غير أنها لم تكن تعبيرا عن نزاع بين القومية الاسلامية والقومية العربية ، ولكن يمكن شرحها من خلال الاعتبارات التالية :

(ا) كان الاتجاه الاصولى يرمى بهذه الحملة الى هدف قومى قبل كل شىء ، أى استبعاد التيارات ذات الاتجاه القومى والوطنى من خلال اضعاف قاعدتها الايديولوجية فى اطار صراع السلطة . وكان هذا الصراع موجها بصفة خاصة ضد نفوذ الجبهة الوطنية تحت زعامة (د . سنجابى) وتيار (بازارجان) أول رئيس وزراء بعد الثورة ، الذى استندت ايديولوجياته على الاسلام وعلى التراث الوطنى لمصدق (انظر بازارجان ١٩٨٠) .

(ب) ان تصريحات بنى صدر وقطب زادة الموجهة ضد القومية العربية ، والى قربت فيها القومية العربية من الصهيونية فيما يختص بالمجابهة السياسية لها علاقة بالعراق وتختلف القومية الايرانية ، والمطالب الايرانية بخصوص العراق والبحرين ، تلك المطالب التى عادت مرة اخرى تحت ستار ايديولوجى جديد (٦) .

ولا يوجد هناك تبرير اسلامى متزن لهذا الرفض المتعنت للقومية . فالامة الاسلامية تعتبر نفسها — مثلها يتضح فى النص المذكور اعلاه — كمصبة لشعوب مختلفة ، يعترف فيها بالانتماء لشعوب وعناصر مختلفة وبالكينونة القومية فى اطار هذا المجتمع الاسلامى .

والنزاعات الايديولوجية ، التى يصفها الجانبان دائما بأنها السبب الرئيسى للنزاع ، أى السبب السياسى لهذه الحرب ، ما هى الا وسيلة للغرض . فإيران مهتمة باضعاف القاعدة الايديولوجية لنظام البعث ، أما العراق فمهتم بالحد من النفوذ الايرانى لمنع حدوث انقلاب اسلامى مفاجيء . فقد حاولت جماعات الشعب الاسلامية الشيعية فى العراق القيام باختبار للقوة مع الحكومة عن طريق القيام بمظاهرات فى شهر فبراير عام ١٩٧٧ . وقد شجع انتصار الثورة الاسلامية فى

(٦) تصريح مناهض للقومية العربية فى صحيفة النهار الصادرة فى ٧٩/١٢/٢٥ ، وانظر ايضا صحيفة الوطن الصادرة فى ١٥ ، ١٩٨٠/٣/٢٣ .

إيران هذه الحركة واصبحت تمثل خطرا جسيما للنظام العراقي (انظر ديكلميان ١٩٨٥ ص ١٣١ - ١٣٦) .

٢ - ٥ - الدول العظمى والدول في المنطقة :

الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب :

أصبح الشرق الأوسط يتمتع بأهمية بالغة في النظام السياسي الدولي وفي سياسة الدول العظمى . ولعل العامل الحاسم في ذلك هو البترول برونه مادة حيوية بالنسبة للدول الصناعية والنوضع الاستراتيجي للمنطقة . وقد تعرض الشرق الأوسط لضغط شديد في الصراع بين الدول العظمى (الفورد ١٩٨٢ ص ١٤٥) .

هذا وتطورت اشكال جديدة لوجود الدول العظمى بعد انهيار دول - الاستعمار والوصاية . وادى اعتماد النظام الاقتصادي المحلي على النظام الاقتصادي العالمي بعد الحصول على الاستقلال السياسي الى تبعيات جديدة ويشهد الوجود العسكري (وحدات اساطيل ، قواعد عسكرية ، حق الاستفادة من الموانئ . الخ .) بأهمية المنطقة في الاستراتيجية الكونية لكلا الدولتين العظميين (انظر خوبين ١٩٨٠ ص ١٢٤ - ١٢٩) ، اللتين تريان أن النفوذ السياسي في الخليج هو قبل كل شيء مفتاح التحكم السياسي في أوروبا . وهكذا يمكن الاعتراف بأهمية بترول الخليج في استراتيجية الدول العظمى (ستافول ١٩٨٢ ص ٩٧ ف) .

تساعد الصراعات المتعددة والمعقدة المتشابكة بين الدول الاقليمية والدول المجاورة دائما على تدخل الدول العظمى وزيادة نفوذها . ولعل النزاع الاسرائيلي العربي هو السبب الرئيسي في وجود الدول العظمى وكذلك في استقطاب الصراعات (انظر بنزل ١٩٨٥ ص ٧٧ - ٨٠) . وقد أدت الصراعات الدائرة بين كل من ايران والعراق/العراق وسوريا/والبحرين الشمالية واليمن الجنوبية/والجزائر والمغرب/والصومال واثيوبيا/وتشاد وليبيا/وليبيا والسودان/وايبيا ومصر الى تقوية وجود الدول العظمى الذي انعكس على الصراعات المختلفة ، حيث تميزت النزاعات الحديثة باستقطاب قائل الموضوع لأطراف النزاع وتعدد وتبدل مواقف أطراف الصراع من الدول العظمى .

وأدت هذه النزاعات وكذلك الارتفاع الهائل لموائد البترول الى تدعيم الطاقة التسليحية مما أدى بالتالي الى عسكرة الصراعات والاعتماد المتزايد لكل طرف على إحدى الدولتين العظميين في المجال العسكري . وحاول العراق بعد ابتعاده عن الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٥ البحث عن مصادر جديدة للتسلح للحد من هذا الاعتماد (اتجه العراق الى فرنسا) : وهناك دول

أخرى وضعت حدا لعلاقات التبعية للدول الأخرى ، حيث حصلت على أسلحتها بطريق غير مباشر عبر دول ثنائية وثالثة دون موافقة رسمية من الدول العظمى المتحالفة معها . وقامت مصر بتوريد أسلحة للعراق من الصين ، واستوردت إيران أسلحة أمريكية من كوريا الجنوبية ، وباكستان وأيضاً إسرائيل (تقرير مريب رقم ١٢٥/١٢٦ ، ٤٠ ، انظر الجدول في الملحق) .

تميزت السبعينيات بظاهرة سيّسية جديدة — وهى الازدهار العسكرى والاقتصادى للمنطقة ، الذى كانت له آثاره أيضاً على ميزان القوى الاقليمى وكذلك على العلاقات مع الدول العظمى . وتعد مصر واسرائيل والسعودية وإيران والعراق دولاً طموحة اقتصادياً وعسكرياً ، بدأت تلعب دوراً إقليمياً وزادت لديها نزاعات السيطرة الإقليمية ، كان هذا الوضع سائداً فى عهد ناصر ويسمى مبارك خليفة السادات للقيام بهذا الدور مرة أخرى . وكانت إيران تحلم فى عهد الشاه أن تكون « خامس دولة فى العالم » . ويبدو أن جمهوريه إيران الإسلامية حققت مطامعها فى السيطرة الإقليمية والسلطة . وحاول العراق على العكس من ذلك فى بداية الحرب ، أن يظهر كدولة إقليمية مهيمنة (انظر أيوبى/خيلى ١٩٨٣ ، ص ١٤٩ — ١٥٤) . وتسعى سوريا ، التى تعتمد على رأس المال السعودى والمعونات العسكرية السوفيتية الى استغلال الحرب للقيام بالدور الذى يصبو اليه العراق .

أدى نهوض الدول الإقليمية والقوى المحلية والتغيرات الجوهرية فى علاقته الدول العظمى بعضها مع بعض . الى تحول فى العلاقات بين المنطقة والدول العظمى . وباستثناء ما تسمى بجهة الرفض والصمود (اليمن الجنوبي والجزائر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التى تتعاون فى الآونة الأخيرة مع إيران أيضاً ، لم يعد يوجد محور مستقر ومتحالف مع إحدى الدول العظمى . وحتى جهة الرفض — التى تتخذ طابعاً مناهضاً لأمريكا — تفكر فى الابتعاد نسبياً عن الاتحاد السوفيتى . ولا تتخذ علاقة الدول المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى صورة موحدة بل بالعكس صورة متباينة تماماً (انظر رايث ١٩٨٣ ص ١٨٥ — ١٨٨) .

أن تسلل الدول العظمى متنوع ويتخطى الحدود والحوافز الايديولوجية والتقليدية : فالولايات المتحدة تقيم علاقات وطيدة مع الجزائر ، كما أن الاتحاد السوفيتى يورد مواد حربية الى الأردن ويرسل مستشاريه العسكريين الى الكويت . ومن المحتمل أن يتدعم وجود الاتحاد السوفيتى فى دول الخليج فى اعقاب حرب الخليج (يودفات ١٩٨٣ ص ١٣٤ — ١٣٦) .

ويتعارض الوضع الراهن مع اتجاهات الاستقطاب . ولم يعد فى إمكان أى دولة عظمى اليوم ارغام حلفائها على تسوية نزاعاتها لصالح أحدى الحلفاء ، مثلما فعلت بريطانيا عام ١٩٣٧ و ١٩٥٤ . ولكن النزاع العربى

الاسرائيلي هو الوحيد الذي مازال موضع استقطاب الدول العظمى ، بالرغم من انها فقدت اهميتها هنا . فقد كان يكفى في عام ١٩٥٦ صدور بيان امريكي سوفيتي لانتهاء الحرب ، أما في عام ١٩٧٣ فقد كان لازاما على وزير الخارجية الامريكي ارغام الاطراف المعنية على تقديم تنازلات في مهمة مكرية . ولقد اسفرت جهود القمة التي بذلت من اجل تسوية في النزاع العربي الاسرائيلي عن اتفاقية كامب ديفيد بين اسرائيل ومصر وتحت مظلة الولايات المتحدة ولكن النتائج قليلة وادت في النهاية الى طريق مسدود .

ويواجه الاتحاد السوفيتي مشكلة التوتر بين حليفه العراق وسوريا ، وهما ليسا مستعدين لاي تعاون . كما أن السياسة الاقليمية التي تنتهجها كلتا الدولتين الموالتين للغرب والحليفيتين للولايات المتحدة مصر والسعودية متناقضة تماما .

وبالرغم من تدويل الصراعات الاقليمية والمحلية وتورط الدول العظمى في هذه الصراعات ، نجد انه لم يعد في امكان الدول العظمى السيطرة عليها . وكانت النزاعات الاقليمية قبل اندلاع الحرب الايرانية العراقية تحدثت تحت نفس الظروف المذكورة اعلاه . فالحرب نفسها تؤدي الى تخفيف الاستقطاب .

وفسرت الاتفاقية الايرانية العراقية لعام ١٩٧٥ بوجه عام على انها خطوة من العراق في اتجاه الغرب . وبالرغم من ذلك رحب الاتحاد السوفيتي بهذه الاتفاقية مبدئيا (البرافدا في ١٧/٤/٧٥) وكان العراق هو الحليف الوحيد للاتحاد السوفيتي في الخليج وكان الاتحاد السوفيتي يبنى نفسه بالوصول من خلال الاتفاقية الى الخليج عبر العراق . وعلى الرغم من القمع الذي حدث للحزب الشيوعي العراقي الموالي للسوفييت فيما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٨ وتكثيف العراق لعلاقاته التجارية مع الدول الغربية ، وبخاصة مع فرنسا تلك العلاقات التي واجهت نقدا عنيفا من الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي — على الرغم من هذا نجد أن الاتحاد السوفيتي تمكن من تدمير مركزه وبخاصة من خلال وجوده العسكري (ورلد ماركسيست ديفيو في ١٩٧٦/٨/٨) . كما استؤنفت أعمال التوسيع في ميناء « أم قصر » العراقي ، الذي كان مفتوحا أيضا أمام البحرية السوفيتية (يودفات ١٩٨٤ ص ٣٩ ، انظر هوبل ١٩٨٢ ص ٢٦) .

وصرح طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي لتبرير الوجود السوفيتي في العراق ، الذي انتقده الكثيرون في دول الخليج ، قائلا : « قالت بعض الدول الساحلية بأنه لا يجب أن تكون لدينا هنا بحرية امريكية او سوفيتية ، ونحن ضد ذلك لأنها كانت وسيلة لابقاء النفوذ الامريكي وابعاد السوفيتي . ان الامريكيين موجودون من قبل . من الذي يعرض أمن الخليج للخطر ؟ نحن لا نرى خطرا

حالباً ، والاكثر أهمية من ذلك هى حرية الملاحة فى الخليج » . (خوين ١٩٨٠ ص ٢٣) .

وفى الفترة التى تقارب فيها العراق من السعودية ادلى الرئيس العراقى صدام حسين بتصريحه الشهير ، « سندافع عن السعودية فى حالة ما اذا أراد الاتحاد السوفيتى احتلالها » . (الصحافة العراقية ١٩/٤/٧٩) ، وذكر بعض المراقبين انذاك أن ١٦ ألف خبر سوفيتى يتركزون فى العراق (٧) .

ويجب النظر الى بيان الرئيس العراقى فى ضوء الانقلاب الموالى للسوفييت فى افغانستان ، الذى أثار الخوف لدى القيادة العراقية من حدوث تغييرات فى بلاده (فريدمان ١٩٨١ ص ١٧٠) . وبرغم الابتعاد الواضح عن الاتحاد السوفيتى واستبعاد الحزب الشيوعى ، نجد أنه ساد هدوء بين الاتحاد السوفيتى والعراق الذى اعتمد كما هو الحال من قبل على التأييد السوفيتى لتحقيق سياسته الاقليمية . وقام العراق فى عام ١٩٧٨ بمبادرة لعقد قمة عربية فى بغداد كرد فعل على اتفاقية كامب ديفيد ، ورحب الاتحاد السوفيتى بذلك (نيويورك تايمز فى ٢٥/١١/١٩٧٨) . وكان لبغداد وموسكو أهداف سياسية مختلفة برغم ادانتها المشتركة لاتفاقية كامب ديفيد : فالنظام العراقى الذى كان قد أوشك على التخلّص — بحرص — من تحالفه مع الاتحاد السوفيتى ، لم يفسم لجهة الرفض التى كان يؤيدها الاتحاد السوفيتى ، لانه كان يهتم قبل شئ بتكوين جبهة موحدة مضادة لمصر تشترك فيها السعودية والدول العربية الاخرى المحافظة كما كان مهتما بالقيام بدور معتدل ولكن ليس انطلاقا من علاقاته الوثيقة مع غرب اوروبا والسعودية . ولم تسفر محاولات الوساطة التى قام بها كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى فى جولاته الى دمشق وبغداد عن أية نتائج (فريدمان ١٩٨١ ص ٢٤٤) .

وخلق انتصار الثورة الايرانية وما ترتب عليه من تهديد للعراق ودول الخليج وضعاً جديداً . مما دعا الرئيس العراقى صدام حسين أن يقترح على الدول المعنية ميثاقاً للدفاع المشترك وعدم الاعتداء . وكانت أهم نقاطه : ضد وجود أندول العظمى ورفض منح التواعد العسكرية لقوات الدول العظمى ، واتخاذ الاجراءات المشتركة ضد أى هجوم ليس عربى . ومن الواضح ان التصريح كان موجهاً ضد ايران وانه عمل تمهيدى لشن حرب .

وثمة جانب اضافى جدير بالتنويه فى موضوعنا يتعلق بالضعف الملفت للنظر الذى لحق بالمنظمات الاقليمية التى قويت من خلال الحرب الايرانية العراقية . فالجامعة العربية ومنظمة الأوبك ومنظمة الدول الاسلامية كانت تشكل فى السبعينيات منظمات اقليمية وما فوق الاقليمية وتمثل مصالح دول العالم الثالث

(٧) انظر الامرواسيوية رقم ٧٢ فى ١٩٧٩/١/٢٢ .

المشتركة وتمكنت الى حد ما من الحد من نفوذ الدول العظمى . وانطلاقا من ذلك تكونت قاعدة لحل المشكلات وتسوية النزاعات العربية الداخلية . غير ان الجامعة العربية اخذت تفقد أهميتها باستمرار : اذ ان مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه جامعة الدول العربية لم يتمكن من الانعقاد طوال اسابيع طويلة اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان . ولم يمكن تنفيذ الخطط التى وضعها مؤتمر وزراء الخارجية واقاء قمة الدول العربية لحل أزمة الشرق الاوسط ولانتهاء النزاعات العربية الداخلية (انظر دافيشا ص ٦٥ — ٦٨ ، جانسين ١٩٨٤ ص ٨١ — ٨٧) .

كذلك فقدت منظمة الأوبك بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية والخلافات الايرانية السعودية فى سياسة البترول وظيفتها كهيئة متكاملة . ولكنها سهلت بعد عام ١٩٧٥ فى الجزائر ابرام اتفاقية ايرانية عراقية ، الا انها هى نفسها أصبحت موطنا للنزاعات والتوترات .

كما ضعفت منظمة الدول الاسلامية نتيجة للتوترات الداخلية فى الاتجاهات الانقسامية . وتجلى عدم أهميتها المتزايد فى فشل جهودها من أجل التوصل الى حل سلبى للحرب الايرانية العراقية .

السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية

لم يكن التطور الداخلى وآليات النظام الاسلامى ولا سياسة ايران الخارجية — امرا سهل انفهم بالنسبة للعالم بأسره فى الست السنوات الماضية وظلت خلافات النظام الجديد مع الدول العظمى والدول المجاورة والتى ادت فى فترة محددة الى عزلة ايران — امرا محيرا بالنسبة لكثير من الدول . وكانت هناك محاولة لارجاع اسباب الخلافات غير المفهومة اما الى الفوضى التى اعقبت انتصار الثورة مباشرة او الى عجز المصفوة القيادية الدينيـة على التعامل مع القواعد الحديثة للسياسة الدولية . وباتفاكيد كانت فترة الفوضى والصراعات داخل الأجنحة مسئولة عن السياسة غير المستقرة والمتغيرة . بيد أن السيفسة الخارجية الايرانية تستند على مفهوم سياسى بنى على بعض المبادئ الاسلامية المحددة . ونحاول فى هذا الفصل تحليل هذه المبادئ وتقسيم السياسة الخارجية الايرانية الى مراحل هامة .

ربما تعتبر السياسة الخارجية الايرانية محيرة بالنسبة لاي مراقب نظرا لانها غالبا ما تمثل فى آن واحد آراء سياسية مختلفة لمراكز قوى مختلفة . وبدون تشخيص مراكز القوى هذه لا يمكن تحديد الملامح الاساسية للسياسة الخارجية الايرانية كما لن يكون من الممكن كشف متناقضاتها .

ونظرا لأن مصالح سياسة خارجية محددة قد ساعدت على اندلاع الحرب الإيرانية العراقية ونظرا لان العلاقات الإيرانية مع العالم الخارجى يغلب عليها طابع الحرب نجد استعراض ملامح السياسة الخارجية لـ إيران امرا لا مناص منه فى عملنا هذا .

وكانت السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم نواة للدعوية الاسلامية وللتعبئة ضد حكم الشاه الذى كان اعتماده على الولايات المتحدة ودوره « كشرطى اقليمى » علاوة على علاقاته مع اسرائيل وجنوب افريقيا وشكل ذلك محور بيانات الخمينى ابتداء من عام ١٩٦٣ حتى قيام الثورة فى عام ١٩٧٩ . (الخمينى ١٩٧٩ ، ٣٣ ، ٥٧ ثم ٧١ — ٧٥ ، ١١٥ — ١٢١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠) . ولعبت السياسة الخارجية دورا هاما فى الخلافات الداخلية بعد نجاح الثورة ايضا ، كما كانت لها أهمية خاصة بالنسبة لازدهار وفشل الجماعات والاتجاهات السياسية .

وكان منصب وزير الخارجية موضوعا للصراع منذ بداية الثورة الإيرانية وكثيرا ما تعرض للتغيير أكثر مما كان يتعرض له أى منصب وزارى آخر (فقد اعتلى هذا المنصب خمسة وزراء خارجية فى غضون السنتين الأوليين كما ظل شافرا على مدى عام كامل) .

وأعلن النظام فى بياناته الأولى عن سياسة خارجية مضادة تماما للشاه وكانت المبادئ الجديدة هى الاستقلال وعدم الانحياز النشط والسعى الجاد نحو تحقيق الوحدة الاسلامية (اطلاعات ٧٩٠٢٠١٤) (١) . وحدد منظرو الثورة الإيرانية المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الجديدة بأنها « توازن سلبي (صبحار ١٩٨٠ — ٢٨) ويستحق هذا المفهوم الجديد دراسة دقيقة وسنحاول عرض أسس السياسة الخارجية الجديدة وخطوطها العريضة من الوجهة النظرية للنظام الجديد .

١ — الأساس التاريخى :

تحولت إيران فى فترة حكم الكراسنشيه (١٧٩٥ — ١٩٢٥) الى دولة ضعيفة متفسخة شبه مستعمرة (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٠ — ٢٢) . وقسمت كلتا الدولتين الاوروبيتين المتنافستين بريطانيا وروسيا / إيران الى مناطق نفوذ الامر الذى أدى الى عملية نهب منتظمة لهذا البلد (بنى صدر ١٩٧٧ ، ٥٩ — ٦٣) . وأصبح الاقتصاد الإيراني والدولة الإيرانية فى حالة اعتماد

(١) أول بيان حكومى لرئيس الوزراء مهدي بازرگان الذى أعلنه فى ١٣/٢/١٩٧٩ وكذلك أيضا أول مشروع لوضع مفهوم إيرانى جديد (المقدمة) .

كامل على العالم الخارجى بسبب أعباء الديون المتنامية والتنازلات المستمرة التى كانت تقدمها ايران للدولتين العظميين . وتم تثبيت عملية تقسيم البلاد الى مناطق نفوذ كتابة فى معاهدة بريطانية روسية صدرت علم ١٩٠٧ (يودفات ١٩٨٤ ، ٦ - ٨ ، هورفيتس ١٩٥٦ ثم ٢٢٦) . ولم تقسم الدولتان العظميان المصادر الاقتصادية والطبيعية فقط بل اخضعنا أيضا أعضاء الاسرة الحاكمة لتبعيتهما .

وقد عمل مركز القوة هذا ، الذى كان فى الواقع عاجزا ازاء مراكز القوى المحيطة — على تأمين وجوده فيما بعد عن طريق مساندة الدولتين الاوروبيتين (بنى صدر ١٩٧٧ ثم ٥٦) ومحاولات الاستقلال المختلفة التى حدثت من جانب بعض رجال من الدولة الايرانيين مثل الامير كبير فى الاربعينيات من القرن التاسع عشر . هذه المحاولات الاستقلالية تحطمت على صخرة التعاون بين الدولتين العظميتين وحليفهما الشاه الذى كان لا حول له ولا قوة (بنى صدر ١٩٨٠ ، ١٧٦٠ ، بروكلمان ، ١٩٧٧ ، ٦٦٤) . وكانت أسرة الكيارن تسير على مبدأ « التوازن الايجابى » فى السياسة الخارجية أى قيام علاقة متوازنة مع الدولتين العظميتين مما كان يعنى فى نهاية المطاف تحقيقا لمصالح الدول الكبرى . وقد أدى هذا الوضع الى خلق مواقف كان على ايران الخضوع فيها بتقديم تنازلات لتلك الدولة والتسليم بطلاب الدولة العظمى الاخرى بالتالى (صبحار ١٩٨٠ ، ٢٧ ، بروكلمان ١٩٧٧ ، ثم ٦٨٠) . وقد فشلت فشلا ذريعا محاولتان قبل الحربين العالميتين الاولى والثانية للتخلص من هذا الوضع الجديد وذلك عن طريق الاتجاه الى دولة عظمى ثالثة وهى ألمانيا (ايفانوف ١٩٧٨ ، ٦١ - ٦٤ ، ١١١ - ١١٤ ، الطبرى الاولى ١٩٧٧ ، ١٤٨) .

ويتحدد المبدل الاسلامى لهذه السياسة — « مبدأ التوازن السلبى » فى العلاقات مع القوى العظمى المتنافسة ، برفض أية تبعية وأية تنازلات وهكذا تم تحييد الدول الكبرى وتأمين استقلال ايران . وقد وضع هذه النظرية فى العشرينيات علماء الدين المسلمون والسياسيون النشطون وهما حسن موداريس والدكتور مصدق (الذى كان رئيسا للوزراء فى الفترة ما بين ١٩٥١ حتى ١٩٥٣) وصاغها أيضا قبل وبعد الثورة الاسلامية المنظرون الاسلاميون المحدثون مثل بنى صدر (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٨ - ١٣٠) .

ب — الاساس الاسلامى :

اعتمد منظرو الحركة الاسلامية تجارب النبي محمد عند بداية نشر الاسلام . فقد واجهت الدولة الاسلامية المغيرة آنذاك دولتين كبيرتين وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية اللتان كانتا تتنافسسا على السيطرة على العالم القديم . ولم يكن الاسلام مستعدا ولا راغبا فى تقديم

تنازلات أو الانحياز لاي من الابطراطوريتين وبذلك استطاع تحييدهما وأخيرا أخضاعهما . ولابد أن تكون هذه التجربة التاريخية قد ساعدت في تشكيل سياسة ايران تجاه الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٦ ، بنى صدر ١٩٧٩ ، ٩٠) .

ح - الاساس الاستراتيجي :

ولا تعتبر ايران دولة كبيرة فحسب بل تحظى أيضا بأهمية استراتيجية فهي مشتركة مع الاتحاد السوفيتي في خط حدود يبلغ طوله ٢٥٠٠ كم علاوة على أن موقعها على الخليج وعلى المحيط الهندي جعلها تتعرض دائما في العصر الحديث لضغط عنيف من الخارج . فكثيرا ما كانت الدول العظمى تتدخل في الصراعات الداخلية ومساندة ثورات محلية وبذلك أجبرت الحكومة المركزية على الركوع ووصل الامر الى حد الغزو المباشر لايران . وفي الفترة ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ استخدمت بريطانيا ايران كمعبر لقواتها المساعدة للمقاومة المناهضة للسوفييت (نخرای ١٩٧٢ ، ٢٢) وكانت المعاهدة الايرانية السوفيتية نتيجة لهذه الواقعة وهي تلزم ايران بطرد أي قوات اجنبية من أراضيها كما تلزمها أيضا بتعقب الأنشطة المناهضة للسوفييت . بل وأكثر من ذلك تسمح هذه المعاهدة للاتحاد السوفيتي بحق مرابطة بعض قواته في ايران في حالة وقوع أي استفزازات للاتحاد السوفيتي (يودفات ١٩٨٤ ، ١٣) . هذا وقد أضحت هذه المعاهدة شرعية على المغزو السوفيتي الامريكي عام ١٩٤١ وذلك لاحباط الخطط الحربية للرايخ الثالث ضد الاتحاد السوفيتي (يودفات ١٩٨٤ ، ثم ١٧٦) وتنازل نظام الشاه فيما بعد على الاقل عن الحياد النظري وانضم في الخمسينيات الى الحلفاء الغربيين المناهضين للسوفييت .

ولم يكن أمام الجمهورية الاسلامية الا طريق واحد للتخلص من هذا المأزق التاريخي الذي كان سببا للتبعيات المتغيرة وهو استقلال ايران وعدم الانحياز الايجابي والفعال ، وبهذا الطريق أيضا يمكن ضمان بقاء الدولة بعيدة عن نفوذ القوى العظمى نسبيا . ويمكن تحقيق هذا الهدف اعتمادا على مبدأ « التوازن السلبي » .

٣ - ١ - أسس السياسة الخارجية :

تحدد الوثائق الدبلوماسية والبيانات الرسمية التي صدرت لدى قيام الجمهورية الاسلامية أسس السياسة الخارجية الايرانية على النحو التالي (٢) .

(٢) دستور الجمهورية الاسلامية لايران الفقرة ١٥٢ - ١٥٥ ، بيسان الحكومة الذي صدر في ١٣/٢/١٩٧٩ ، خطاب رئيس الوزراء الايراني أمام مجلس الامن في ١٨/١٠/١٩٨٠ .

(١) اقامة علاقات مع جميع الدول على أساس التعايش السلمي والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ورفض أية معاهدات غير متساوية أو تتعارض مع سيادة استقلال الدولة .

(ب) رفض الاشتراك في سياسة التحالفات وعدم الاشتراك في أى حلف مع اندول العظمى .

(ج) لا — للشرق ولا للغرب من أجل جمهورية اسلامية .

(د) الهدف الاساسى لسياسة ايران الخارجية هو تعاون وتوحيد جميع الشعوب الاسلامية والسعى لوحدة سياسية واقتصادية وثقافية في العالم الاسلامى . يجب على الثورة الاسلامية مساعدة الدول الاخرى لتحرير والعالم للاتفاق .

(هـ) مسئلة كفاح المستضعفين ضد الانظمة الديكتاتورية . وتتعدى اهتمامات الثورة الاسلامية بذلك الساحة الاسلامية وتنقسم العالم الى مستضعفين ومستكبرين) كما تتضمن مع شعوب مستضعفة غير اسلامية (مثل الهنود والامريكيون السود . . الخ) (الدستور فقرة ١٥٤) .

(و) نشر مبادئ الثورة الاسلامية الحقيقية في العالم بأسره وحماية العقيدة الاسلامية من الانحراف أو التبديل (انظر الدستور — فقرة ٣) . تعلن الجمهورية الاسلامية تحدى اسلامها الثورى كعامل نضالى ضد الاسلام التقليدى متحدية بالتالى الأمراء التقليديين الحاكمين للدولة الاسلامية .

ولم يتضمن أول مشروع للدستور الاسلامى الايرانى اية فقرة محددة عن عدم الانحياز بل أضيفت هذه الفقرة فيها بعد في تبديل الدستور . كما أضافت بعض العناصر الراديكالية الى مقدمة الدستور أن الهدف البعيد للثورة الاسلامية هو اقامة دولة عالمية موحدة (اى أمة) ، (الدستور المقدمة . صبحار ١٩٨٠ ، ٣٤) .

ان ثمة تناقضا قائما بالفعل في الدستور وفي بعض الوثائق الاخرى التى تتعرض للمبادئ الخاصة بالسياسة الخارجية والتي كانت تكن فيها الخلافات التى ظهرت فيها بعد . فلا يتفق مبدأ مساندة الشعوب المستضعفة ومبدأ نشر المبادئ الاسلامية الحقيقية مع المطالبة بالتعايش السلمى ، كما أن مساندة الحركات الاسلامية المعارضة تتناقض مع مبدأ التعاون مع الحكومات التى تعمل ضد مصالح الدول العظمى وقد أدت هذه التناقضات في السياسة الخارجية الى خلق أزمات وخلافات دبلوماسية .

وقد ظهر هذا الاشكال — أى التناقض بين البرنامج الرسمى وبين السياسة الفعلية — في دول أخرى أيضا حيث كان يتضح — بعد قيام ثورة

ناجحة — الاهتمام بنشر أفكار الثورة السياسية ولكن كان الاتصال المباشر بدول وبأنظمة أخرى كثيراً ما يؤدي الى تصحيح الموقف السياسي الخارجى . (وعلى سبيل المثال الوضع فى روسيا بعد قيام الثورة البلشفية ، دجراى ١٩٥١ ، ٢٦) .

٢ — ٣ — التحول الاسلامى فى السياسة الخارجية :

تختلف السياسة الخارجية الايرانية للجمهورية الاسلامية تماماً مع السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم وتتبنى آراءً بديلة على جميع المستويات تقريباً . فعلى الرغم من احتفاظ ايران بعلاقات اقتصادية طيبة مع الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية منذ الستينيات (للتعاون فى صناعة الصلب وتصدير الغاز الايرانى) (انظر هويل ١٩٨٢ ، ثم ٢٠) استمرت سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على المجالات السياسية والاستراتيجية والأمنية السياسية . هذا وكانت العلاقات مع الدول العربية قد وصلت الى أدنى مستوى أثناء حكم الشاه (هليداى ١٩٧٥ ، ١١١) .

ودخلت السياسة الايرانية القديمة للشاه — خاصة بعد ازدهار القومية العربية فى عهد ناصر فى الستينيات — فى صراع مع السياسة القومية العربية وقد اقتضت العلاقات الايرانية انعزلة على ممالك المغرب والاردن وسلطنة عمان حيث كانت قوات الشاه تقوم بالدفاع عن الحكم المحافظ ضد عدوه اليسارى الراديكالى كما اقتضت تلك العلاقات أيضاً على مصر قبل وبعد حكم ناصر . وعلى الرغم من المصالح المشتركة ضد انتيارات الراديكالية فى المنطقة نجد أن أطماع الهيمنة الايرانية دأبت على خلق التوتر مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج . وفى محيط النزاع العربى الاسرائيلى اقام شاه علاقات مكثمة مع اسرائيل كما أدلى بصوته فى الأمم المتحدة ضد الاعتراف بمنظم التحرير الفلسطينية وضد ادانة هجوميين اسرائيليين على جنوب لبنان .

وكانت النشاطات الايرانية داخل منظمة الدول الاسلامية تهدف أساساً بالتعاون مع تركيا وباكستان ومع بعض الدول الأخرى — الى تكوين تحالف مناهض للاتحاد السوفيتى — وبررت ايران موقفها المناهض للشيوعية بالسلام كما اقامت علاقات مكثفة مع جنوب افريقيا واثيوبيا فى عهد هيلاسيلاسى .

وغيرت عملية الاطاحة بنظام الشاه من موازين القوى الاقليمية التى تحولت الآن لصالح الاتحاد السوفيتى والقوى الاقليمية المناهضة للامريكيين وفقدت الولايات المتحدة الامريكية بضربة واحدة منطقة نفوذ هامة تمتد على طول ٢٥٠٠ كم من الحدود الايرانية السوفيتية كانت عليها محطات مراقبة ومحطات ردار . كما أدت الاطاحة بالشاه أيضاً الى اهتزاز حلف السنتو (الذى كان حزب بغداد حتى قيام الثورة العراقية ، بونتسل ١٩٧٩ ، ٢) . ووضعت

الجمهورية الإسلامية الجديدة مفهوما جديدا لعدم الانحياز والاستقلال عن الدول العظمى : فقد حاولت ان تعطي لفكرة عدم الانحياز مضمونا عالميا شاملا في اطار اقتصادى واجتماعى وثقافى . اما بالنسبة لفكرة الاستقلال عن الدول العظمى فكانت هذه الجمهورية ترى انه الرفض الشديد وادانة اطماع الهيمنة للدولتين العظميين ، وبهذا الموقف الراديكالى تسير هذه الجمهورية فى خط للنموذج الصينى .

٣ - ٣ - تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة للسياسة الخارجية

أحدثت الثورة الإيرانية تغييرا عاصفا وجلبت معها كما هائلا للظواهر المعقدة خاصة فيما يتعلق باقامة نظام حكم بديل . فقد استطاعت التيارات المختلفة عن خمينى ان تتوحد من أجل تحقيق هدف الاطاحة بالنشاه وسرعان ما تبلورت فى السنتين الأوليين بعد الثورة وجهات النظر والاتجاهات المختلفة من جديد ونتيجة لذلك تطور الوضع الى نشوب صراعات داخلية حادة والى اضطراب فى السياسة الخارجية تطورت فى النهاية الى صراعات دامية على السلطة فى صيف ١٩٨٠ . ولم تنشب الصراعات الداخلية بين التيارات الإسلامية واليسارية والعلمانية والليبرالية الوطنية فحسب بل نشأت نتيجة للاختلافات الكامنة داخل الحركة الإسلامية ذاتها والتي كانت تمسك بزمام الامور ونحاول فى الجزء التالى تحديد معالم ثلاثة اتجاهات متنافسة فى اطار مركز القوة الحاكم وتصوراتها للسياسة الخارجية من الناحيتين النظرية والعملية .

(١) اتجاه وطنى اسلامى

ونعنى بهذا الاتجاه اساسا « الحرية لايران » بزعامة مهدي بازرجان ويمثل بازرجان فى تاريخ ايران الحديث مزيجا من الفكر الإسلامى والمصالح وآية الله طلقانى والذى حكم فى الفترة ما بين نوفمبر وديسمبر عام ١٩٧٩ الوطنية (٣) . وعين رئيسا للوزراء بعد الثورة فقد كانت الآمال معقودة عليه لجمع بين القوى والتيارات المختلفة تحاشيا للاستقطاب . واحتل حزبه بالاضافة الى منصب رئيس الوزراء مناصب هامة اخرى فى مجلس الوزراء (وزارات الدفاع والداخلية والثقافة) وكبح هذا الحزب - الى حد - ما جماح السياسة الراديكالية التى كانت تطالب بها بعض الدوائر المتطرفة والتى كانت على اقتناع بضرورة التطهير الشامل لجهاز الدولة القديم وكان بازرجان يؤكد ان مهمة الثورة هى البناء وليس الهدم . وينقسم مفهومه للسياسة الخارجية الى النقاط التالية :

(٣) مهدي بازرجان ، حديث فى : الدستور عدد ٤٥٤ لندن وديسمبر ١٩٧٩ .

— التوازن فى العلاقات مع كلتا الدولتين العظميين والتعايش السلمى مع الدول المجاورة البرجماتية أى الاتجاه الععلى هو المبدأ الاسمى للسياسة الخارجية . ويعنى بذلك الرفض لاية محاولات ثورية متطرفة او مثالية : تكييف العمل السياسى مع المعطيات الفعلية . وبازرجان هو مؤلف كتاب « البرجماتية فى الاسلام » والذى يثارن فيه بين الاسلام وبين أفكار وليم جيمس والفلاسفة البرجمائين المتطورين الآخرين كما يحدد فيه أوجه الشبه بين هذه الاسس (حديث صحفى مع بازرجان فى مجلة الدستور ١٩٧٩) .

— حدود الثورة الايرانية : عارض بازرجان فكرة « تصدير الثورة » ولكنه ايد فكرة اقامة نظام برجمائى اسلامى هادى فى اطار الدولة الوطنية الايرانية .

— على أن تكون ايران مثالا يحتذى لبلدان اسلامية أخرى دون تصدير للثورة (٤) .

— التعايش السلمى ليس فقط مع الدول الاسلامية ودول العالم الثالث بل ايضا مع الدول الغربية . وعلى الرغم من أنه كان يشارك التيارات الاصولية فى أهمية الربط بين الاستقلال الثقافى وبين حماية الوجهة الاسلامية نجد أنه كان يرى ضرورة التعاون مع الدول الصناعية الغربية المتقدمة على المستوى الاقتصادى وبصفة خاصة المستوى التكنولوجى (حديث صحفى مع بازرجان فى صحيفة الدستور ١٩٧٩) . حاول بازرجان فى الفترة ما بين فبراير ونوفمبر عام ١٩٧٩ — تحويل مبلدته الى الواقع العملى بيد أنه لم يحرز سوى نجاح جزئى لان الصراعات والاتجاهات المختلفة واختلاف وجهات النظر فى القرارات السياسية نسفت جهوده .

(ب) الاتجاه الاصولى

ويمثل هذا الاتجاه الحزب الجمهورى الاسلامى الذى تأسس بعد انتصار الثورة مباشرة ويعد محاولة لتجميع انصار الخمينى تحت قيادة دينية . وسرعان ما اوقع ادماء الحزب — انه القوة السياسية الحاكمة والقائدة — فى صراع مع التيارات الاسلامية الاخرى التى كان يجسدها بازرجان أو مع المثقفين المستقلين مثل بنى صدر الذى لم يكن قد انضم الى الحزب وتميزت السنة الاولى بعد قيام الثورة بالصراع بين الحزب الجمهورى الاسلامى وبين حكومة بازرجان . وعلى الرغم من أن الحزب كان يتمتع بالاغلبية فى مجلس الثورة نجد أنه لم يكن له أى عضو فى الحكومة . بيد أن الحزب تمكن بفضل أغلييته فى المجلس الدستورى

(٤) بازرجان ، سلسلة مقالات « ثورتنا » فى صحيفة انقلاب اسلامى (وهى صحيفة الثورة الاسلامية) عدد ١٢ — ١٧ ، نوفمبر ١٩٨٠

الذى تشكل حديثا من ادخال تعديلات واسعة على مشروع الدستور الذى وضعتة وقدمته الحكومة ولعل أهم تدخل هو الجزء الخاص بالفقرات الخاصة عن ولاية الفقيه « الذى كان يضمن للصفوة الدينية وضعا قياديا فى الدولة » وتتمثل اراء التيارات الاصولية فى السياسة الخارجية على النحو التالى :

— الثورة الاسلامية هى ثورة عالمية ولا تتوقف عند أية حدود قومية ويمكن التضحية بمصالح ايران القومية فى سبيل تحقيق هذا الهدف .

— ان قصر الثورة على الحدود القومية للدولة يعتبر موتا للثورة وانتشارها هو الضمان الوحيد لانتصارها فى ايران .

— يمكن تقوية التيار الاسلامى داخل الدولة — عن طريق الكفاح المتواصل ضد العالم الخارجى — الامر الذى يحول دون قيام بيروقراطية داخل الدولة وبذلك يصبح ما يسمى بالفوضى الثورية شيئا نظريا .

— الثورة الاسلامية ليست غربية ولا شرقية وعدوها الرئيسى هو الولايات المتحدة الامريكية ومسألة الرهائن تثبت ذلك ويمكن ضعف هذا الراى فى عدم وجود أى اختلاف بين الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا وليس هناك صحة لاستقلال أوروبا ومصرعها مع قوى الهيمنة الامريكية .

— أصبحت عزلة ايران مؤكدة من الناحية النظرية ، فالعزلة تعتبر نتيجة حتمية للبناء المستقل لايران الجديدة . ونظرا لان التكنولوجيا الحديثه مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة الغربية وبالحضارة ، فلا يمكن لايران أن تأخذ احداها دون الاخرى .

— تبرير فكرة « تصدير الثورة » ادى فيها بعد الى خلق ازمت دبلوماسية شديدة ومراعات مع الدول المجاورة خاصة دول الخليج .

(ج) اتجاه بنى صدر :

على الرغم من ان وضع بنى صدر كان قريبا من اتجاه بازرجان الاسلامى الوطنى الا أنه اتخذ لنفسه بعد انتخابه رئيسا للوزراء اتجاها خاصا به وكانت استقالة وزارة بازرجان فى نوفمبر ١٩٧٩ ومشكلة الرهائن تعنى انتصارا للتيار الاسلامى الاصولى بما له من اثر على الحياة السياسية فى داخل البلاد وعلى السياسة الخارجية أيضا . فبعد انتصاره القوى فى انتخابات الرئاسة والتى حصل منها على ثمانية فى المائة من الاصوات حاول اخماد التيارات المتطرفة كما بذل جهودا جبارة لاعادة صياغة سياسة اسلامية هادئة تتفق مع اتجاهات بازرجان رئيس الوزراء السابق . ويمكن استعراض مواقف بنى صدر بالنسبة للسياسة الخارجية على النحو التالى :

— **التوازن السابى :** كمنظر مرموق للثورة الاسلاميه صاغ بنى صدر مفهوم السياسة الخارجية على هذا النحو : لا يمكن ضمان استقلال ايران عن طريق العزلة ولا عن طريق التورط فى صراعات متصعدة أو عن طريق « التوازن الايجابى » . فالدول الكبرى مرغمة نظرا لتكوينها على التنافس من أجل النفوذ والهيمنة فى كل منطقة فى العالم . ويمكن عن طريق اقامة علاقة متوازنة مع كلتا الدولتين العظميتين ومقاومة اطماع الهيمنة وتخفيف الضغط على ايران وأرغام الدول الكبرى على قبول ايران المستقلة كحد أدنى لتحقيق مطالبها الخاصة (بنى صدر ١٩٧٩ ، ٤ ، ٥ — ٩٠) وقد عبر بنى صدر عن هذا الموقف مرات عديدة خلال بياناته وأحاديثه الصحفية التى أدلى بها وأجرأها اثناء الفترة القصيرة التى أمضاها فى منصب وزير الخارجية فى شهر نوفمبر عام ١٩٧٩ . وأيد بنى صدر فى ندائه للشعب الأمريكى حل مشكلة الرهائن وحاول التأكيد على أن ايران المستقلة تتفق فعليا مع مصالح الشعب الأمريكى أما التصعيد المستمر فسيؤدى الى التدخل السوفيتى فى ايران (بنى صدر ... رسالته فى ١١/٤/١٩٧٩) .

— يشرح بنى صدر فى النظام الدولى الجديد بين مستويات الصراع المختلفة على محاربته للدول الكبرى يدعو الى أوروبا محاييدة والتعاون معها .

— تدعيم دور المنظمات الدولية والاقليمية وخاصة تلك التى تدعو للتعاون مع دول العالم الثالث ، مثل منظمة الاوبك أو منظمة الدول الاسلامية .

— يدعو بنى صدر كأساس داخلى لمثل هذه السياسة — على العكس من فكرة « الفوضوية » الثورية — الى الاستقرار والوحدة الوطنية والتطور السلمى للعلية الثورية (بنى صدر ١٩٧٩ ، ١٤٣) .

— رفض مفهوم « تصدير الثورة » وتجنب أى شكل من اشكال العنف فى العلاقات الثنائية .

اثبتت الخلافات بين التيارات السياسية الثلاثة السابق ذكرها تأثيرا حاسما على السياسة الخارجية لايران حتى شهر يونيو عام ١٩٨١ . وأدى عزل بنى صدر واستيلاء الاصوليين على السلطة وبعد صراع استمر سنتان ونصف سنة الى تنفيذ أهداف الاصوليين ومبادئهم فى السياسة الخارجية . بيد ان اتجاهات جديدة داخل النظام بالاضافة الى متطلبات الحرب اجبرت الاصوليين منذ عام ١٩٨٣ على التراجع الجزئى على الأقل عن شعاراتهم الثورية والى الاخذ النسبى لبعض العناصر البرجماتية فى مواقفهم السياسية الخارجية .

١٠٤٠٣ تقلبات في السياسة الخارجية الإيرانية

نقسم فيما يلي السياسة الخارجية الإيرانية الى أربع فترات تغير فيها شكل ومضمون السياسة الخارجية مع موازين القوى وأصحاب القرارات .

١٠٤٠٣ فبراير — نوفمبر ١٩٧٩

العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب

كانت سياسة بازرجان الخارجية مضادة لكلتا الدولتين العظميين الا انها كانت تتميز بالخوف من التدخل السوفيتي . ولذلك عملت حكومة بازرجان ليس على قطع بل على اعادة العلاقات مع الولايات المتحدة والدول الغربية على اساس جديد . فمن ناحية قطعت العلاقات مع اسرائيل وجنوب افريقيا وخرجت من حلف السنتو (بيان حكومي) اطلاعات في ١٩٧٩/٣/١٩ ومن ناحية اخرى جرت المساعي لاقامة علاقات طيبة مع أوروبا الغربية واليابان كما اعادت المعاهدات الاقتصادية والعسكرية التي أبرمت في عهد الشاه وحرصت على ملامتها مع الظروف الجديدة . فقد كان أي خرق للمعاهدة يعنى كارثة بالنسبة للاقتصاد الإيراني وبالنسبة للصناعة الانتاجية الإيرانية حيث أن نسبة اعتماد قطاع التسليح على هذه المعاهدات كانت كبيرة ، وقد أرغم انتهاء المعاهدة من طرف إيران على استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفيتي كما حدث لمصر بعد ثورة ١٩٥٢ وللعراق عام ١٩٥٨ . ويرى الخبراء عن حق أن امدادات الاسلحة السوفيتية كانت الخطوة الاولى في طريق النفوذ السياسي في الشرق الاوسط في الخمسينات . وكانت حكومة بازرجان تعارض هذا النوع من التحول الراديكالي وفي هذا الاطار يلزم الرجوع الى المقابلة غير الموفقة بين بازرجان وبرزنيسكي التي تمت في الجزائر في اكتوبر عام ١٩٧٩ والتي عجلت باستقالة حكومته (الشرق الاوسط في ١٨/١١/١٩٨٩) .

العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية

تقع علاقة ايران مع الاتحاد السوفيتى فى دائرة المساعى الدائمة للحصول على مناطق النفوذ وغزو أفغانستان . وظل الاتحاد السوفيتى الذى رحب بالاطاحة بنظام الشاه وضياع القلعة الامريكية فى ايران ينظر بعين الشك الى الوجهة الاسلامية للثورة (يودفات ١٩٨٤ ، ٥٤ ، ٥٧) وتجلى ذلك فى تواءم الحديث الرسمية فلم تتحدث الصحافة السوفيتية عن الجمهورية الاسلامية بل عن الجمهورية الايرانية ولم تكتب الثورة مقرونة بالاسلامية بل الديمقراطية الوطنية (تشوين ١٩٨٠ ، ٣٨) . بينما اختارت الصحافة الايرانية لفظ روسيا لتهاجم بذلك دمج الجمهوريات الاسلامية الاسيوية فى الاتحاد السوفيتى التى كانت من الوجهة التاريخية اجزاء من الاراضى الفارسية واحتلتها روسيا القيصرية على مدى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد حاول الاتحاد السوفيتى مرتين على الاقل فى تاريخ ايران الحديث فرض نفوذه على السلطة المركزية عن طريق مساعدة مطالب الاستقلال الذاتى للجماعات المحلية والعرقية . فقد ساند الاتحاد السوفيتى جمهورية المستشارين فى اقليم جيلان عام ١٩٢٠ كما ساند جمهوريتى اذربيجان وكردستان فى السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ (ايجليتون ١٩٦٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥) واصابة مساندة الصحافة السوفيتية لمطالب الاستقلال الذاتى الكردية والتركمانية بعد قيام الثورة الاسلامية نقطة حساسة فى علاقات كلا البلدين . وقد تجنب الاتحاد السوفيتى أى تورط مادى فى الخلافات ولكنه أكد مرات عديدة على أهمية الاستقلال الذاتى للكراد . يودفات ١٩٨٤ ، ٦٣ ، ٨٦ ، ١٤٥ ، تاس ١٩٧٩/٩/٤ . وكانت الازمة الافغانية منذ البداية مصدرا لتوترات ، فبينما كانت ترى ايران فى الغزو تهديدا مباشرا اتهم الاتحاد السوفيتى ايران بالتدخل فى الشؤون الافغانية وارسال متطوعين . وادت الخلافات حول ارتفاع سعر البترول بجانب الخلافات السياسية الاخرى الى تسمم المناخ بين الدولتين (بيان حكومى ايرانى ، اطلاعات ١٩٧٩/٩/٢) .

ولا يصح تجاهل الابعاد ايدىولوجية لهذا الصراع . ويعتبر كثير من المراقبين أن من المتوقع أن يكون للثورة الاسلامية اثر على الوضع فى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى (تشوين ١٩٨٠ ، ٣٨ ، دنكاورى ١٩٨١ ، ٢٢٥ — ٢٣٢ يودفات ١٩٨٤ ، ٨٤ — ٧٦) .

وعلى الرغم من سوء العلاقات مع دول الغرب لم يطرأ — على عكس جميع التوقعات — أى تحسن فى العلاقات مع دول الكتلة الشرقية وكانت البادرة الوحيدة التى تهدف الى تحقيق التقارب هى وعد الحكومة الايرانية بتوجيه الدعوة لفيدل كاسترو رئيس الحزب والدولة الكوبى لزيارة ايران بيد أن هذه الزيارة لم تتم .

العلاقات مع العالم انشأته والمنظمات الدولية

وعلى الرغم من المشكلات الداخلية المتعددة كانت علاقات ايران مع دول العالم الثالث ومع المنظمات الدولية في هذه الفترة مكثفة بشكل اكبر من الفترة التالية . وكانت العلاقات مع الدول الاسلامية تحتل المرتبة الاولى واشترك بازرجان على الرغم من النقد العنيف من جانب التيارات المتطرفة — في مؤتمر منظمة الدول الاسلامية التي كانت التيارات الاسلامية تحط من قدرها كمنظمة رجعية . ثم أصبحت ايران عضوا في دول عدم الانحياز وارسلت وزير خارجيتها الى مؤتمر دول عدم الانحياز في هافانا ثم قطعت العلاقات مع جنوب افريقيا واعترفت بالجمهورية الجديدة بحكومة الساندينستا في نيكاراغوا . ولم يطرأ أى تغيير جوهري على العلاقات مع الصين على الرغم من خطتها المتوازي المحدد فيما يتعلق بالدول الكبرى وعلى الرغم من التشابه في التطور الداخلى ، ظلت هذه العلاقات تخيم على شبح الزيارة الرسمية التي قام بها لايران هوكو فنج رئيس الدولة الصينى الذى كان آخر رئيس دولة مسيحية قام بزيارة رسمية للشاه . اما العلاقات الايرانية مع الدول العربية وخاصة مع دول الخليج والعراق ستعالج بشكل منفصل فيما بعد .

٢٠٤٠٣ نوفمبر ١٩٧٩ — اغسطس ١٩٨٠

تولى مجلس الثورة مقاليد السلطة التنفيذية بعد اقالة حكومة بازرجان في نوفمبر ١٩٧٩ وكلف بعض اعضائه بإدارة الوزارات . وكان آية الله بهشتي رئيس مجلس الثورة وبنى صدر الذى كلف بهام وزارات الخارجية والمال والامانة والاقتصاد لاعادة تنظيمها ووضع خلاف .

وكان العامل المسيطر في بداية هذه الفترة هو الحزب الجمهورى الاسلامى بالاضافة الى مجموعة الطلبة المتطرفين المتحالفة معه والتي احتلت السفارة الامريكية وكانت السمات الرئيسية الخارجية لهذه الفترة هي النزلة والميل الى التطرف الذى تمكن بنى صدر من اضعافه عن طريق التيار الذى كان يمثله . ولم يسبى احتجاز الرهائن الى العلاقات مع الخارج فحسب بل لسب دورا هاما في القضاء على جذور الاتجاهات الليبرالية والوطنية والمعتدلة في الصراع الداخلى على السلطة وسيطر المفهوم الاصولى في السياسة الخارجية على الرغم من مقاومة بنى صدر وآخرين . ويمكن عرض ملامحه الاساسية كما يلى :

١٠٠ (أ) الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الغربية

كان احتجاز الرهائن تعبيراً عن سياسة معادية للأمريكيين وضد التحالف الغربي تسببت أخيراً في عزلة البلاد وفي فرض العقوبات السياسية والاقتصادية من جانب الدول الغربية . إلا أن الأمر كان يتعلق أساساً بالصراعات الداخلية على السلطة فقد استحدثت النشاطات السياسية الخارجية لتعبئة جماهير الشعب من ناحية وللقضاء على العناصر الليبرالية والوطنية داخل مركز السلطة من ناحية أخرى .

و أصيبت التوقعات الإيرانية بخيبة أمل فيما يتعلق بنتائج احتجاز الرهائن على العلاقات الدولية . وقد أراد آية الله خميني إجبار الدول الإسلامية على التحالف ضد أمريكا بهدف الحيلولة دون قيام انتفاضات خطيرة في هذه الدول (النهار ١١/٢٨ ، ١٩٧٩/١٢/١٨) بيد أن احتجاز الرهائن قد تسببت في مزيد من العزلة وفقدت إيران السمعة الطيبة الذي كانت تتمتع بها بعد الثورة بين الرأي العام العالمي . فقد اتضح موقف بريطانيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية وفرنسا أن الدول الأوروبية واليابان قد ابتعدت حقاً في البداية عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية المناهضة لإيران بيد أنها تأرجحت تحت ضغط الولايات المتحدة وتحت وطأة الأحداث ، على هذا الخط .

(ب) الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية

دأب الاتحاد السوفيتي على توجيه النقد الحاد إلى السياسة الخارجية في عهد رئاسة بازرجان للوزارة أي في الفترة من فبراير حتى نوفمبر عام ١٩٧٩ ورأى أن الفرصة سانحة أمامه في الوضع الجديد لاستغلال الصراع الأمريكي الإيراني والحصول على منطقة نفوذ في إيران (يودفات ١٩٨٠ ، ١٢٦ - ١٢٨ ، ١٩٨٠ ، ٤٠) وعلى الرغم من التدخل الأحادي الموجه ضد الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت إيران تخشى تدخل السوفييت وإدانت المذكرة الموجهة من مجلس الثورة الإيراني إلى قيادة الحزب السوفيتي جميع المحاولات السوفيتية الرامية للحصول على مناطق النفوذ وأكد وزير الخارجية الإيراني من جديد في خطابه لنظيره السوفيتي أندريه جروميكو الموقف الإيراني وإدان بشدة غزو أفغانستان ، فقد كان تورط النظام الإيراني الجديد في النضال مع الولايات المتحدة الأمريكية يشكل من وجهة النظر الإيرانية فرصة لنجاح غزو أفغانستان ولذلك وقعت في إيران في يناير عام ١٩٨٠ مظاهرات معادية للسوفييت وعلاوة على ذلك أعلنت إيران مقاطعتها للدورة الأولمبية التي أقيمت في موسكو (كيهان ١٩٨٠/١/٢٢) .

وعلى الرغم من ذلك استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي . وحال بذلك دون إدانة إيران واستغلال الاتحاد السوفيتي المتطامنة

الاقتصادية من جانب الدول الغربية في تكثيف العلاقات التجارية مع ايران (النهار ١٩٨٠/١/١٥) . وفي ربيع عام ١٩٨٠ تحسنت العلاقات الاقتصادية الايرانية السوفيتية والقى على عاتق ايران مهمة تدعيم العلاقات التجارية مع دول الكتلة الشرقية .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

لم تتمكن ايران من تحقيق خطتها لاقامة حلف مناهض للامريكيين فقد اعترفت فجأة بجمهورية الصحراء لى تضمن مساندة الجزائر وليبيا وانتهجت ايران سياسة انعزالية داخل المنظمات الاقليمية وغير الاقليمية ولم تشترك في جلسات مجلس الامن ولا جلسات محكمة العدل بلاهاي عند مناقشة مشكلة الرهائن وابتعدت ايضا عن منظمة الدول الاسلامية ويادر بنى صدر رئيس الوزراء المنتخب حديثا والذي كان يرى جيدا ضعف ايران في سياستها الخارجية بسبب مشكلة الرهائن السفير ١٩٨٠/٣/١٧ بادر بنى صدر باقتراح اشراك بلاده في مباحثات منظمة الدول الاسلامية في باكستان ولكن هذه الخطوة اصطدمت بالرغبات الشديدة من جانب الحزب الجمهوري الاسلامي ومن جانب الاتجاهات الاصولية (الجمهورية الاسلامية في ١٩٨٠/٥/٤) .

وساد النصف الثاني من هذه الفترة ابتداء من مارس حتى شهر اغسطس ١٩٨٠ صراعات داخلية بين الرئيس بنى صدر والسيطرة الاصولية في البرلمان . وبدأ بنى صدر بالاشتراك مع وزير خارجيته قطب زادة في توطيد علاقات مع اوربا . واشترك قطب زادة كمراقب في مؤتمر الدولية الاشتراكية وطالب المجتمعين بسياسة اوربية فعالة ومستقلة . واستقبل بنى صدر وفدا للدولية الاشتراكية برئاسة المستشار النمساوي آنذاك كرايسكى وكانت جهود بنى صدر السياسية موجهة بوعي ضد أى اتجاه موال للاتحاد السوفيتي في ايران ، اما العلاقات مع كوريا الشمالية فكانت مرتبطة بفكرة التقارب مع الصين .

وتميزت الحقبة ما بين نوفمبر عام ١٩٧٩ حتى اغسطس ١٩٨٠ بانشطة صغيرة في السياسة الخارجية فقد ساد التوجه الاصولي المتطرف حتى عام ١٩٨٠ . ومن يناير حتى مارس علم ١٩٨٠ حاول الرئيس الجديد ايقاف هذا الاتجاه . وساند الخميني وبطانته — الذين صدموا بالانتصار الساحق لبنى صدر والذين كانوا غير راضين عن سياسته الخارجية — الحزب الاصولي الاسلامي ، بشكل مكثف ، وقد تمكن الحزب الاصولي اخيرا من الحصول على الاغلبية في الانتخابات البرلمانية في المجلس الوطني التي جرت في ٥ مارس ١٩٨٠ . وابتداء من مارس توالى الخلافات داخل البرلمان مما ادى الى ازمة دستورية حادة . و طبقا

للدستور الايرانى يرأس الرئيس السلطة التنفيذية وينسق بين السلطة التنفيذية والتشريعية ولا بد من حصول الحكومة على رضا وموافقة الرئيس والبرلمان ولم ينص الدستور على شىء فى حالة حدوث خلاف بين الرئيس والبرلمان (الدستور الايرانى الفقرة رقم ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧) وفى اثناء الازمة الوزارية التى دامت خمسة اشهر لم يتم التوصل الى اتفاق حول تشكيل مجلس الوزراء .

٣٠٤٠٣ الفترة من اغسطس ١٩٨٠ حتى يونيو ١٩٨١

وكان يتحتم على بنى صدر بعد تدخل الخمينى قبول رجائى الذى اقترحه انبرلمان رئيسا للوزراء . وفى اغسطس تم تشكيل الحكومة الجديدة وباشرت السلطة . اما وزارات الخارجية والاقتصاد والدفاع فبقيت شاغرة كما ظلت وزاره الخارجية بدون وزير دائم وعين وزير جديد للدفاع فى شهر أكتوبر فقط بعد اندلاع الحرب الايرانية العراقية .

وكان تشكيل الوزارة فى اغسطس ١٩٨٠ يعنى انتصارا للاتجاه الاصولى الذى بدأ فى تنفيذ آرائه فى السياسة الخارجية لايران باستثناء بعض مواقف بنى صدر الذى كان يركز على إعادة بناء الجيش والذى كان قد فقد نفوذه بشكل ملموس وأصبح رئيسا معارضا بصفة دائمة .

زعمت فى عهد رجائى عزلة ايران واصبح لها الان اسس نظرية وادينت المقاطعة الاقتصادية الغربية بصورة رسمية الا انها كانت فى نفس الوقت فرصة ملائمة للبناء الجبرى للطاقت والمصادر الاقتصادية الخاصة . واتخذت هذه النظرية مقياسا لمدى الاخلاص للاسلام — أى الولاء لتوجيه الامام — حيث اتخذ هذا المعيار أساسا للحكم على القيادات العليا العلمية والتكنوقراطية . وقد نتج عن ذلك تفضيل لبعض القوى وموجة جديدة للتطهير وجهت ضد جميع التيارات المتأثرة بالعقائد الوطنية والليبرالية التى لها طابع غربى اودت هذه الموجه الى اغلاق الجامعة كما ألغيت المنح الخارجية ولم تؤد حملة التطهير الى اضعاف الاقتصاد فحسب بل اضعفت أيضا المؤسسات والهيئات الهامة فى السياسة الخارجية .

(١) الولايات المتحدة الامريكية والكتلة الغربية

ونظرا لان مشكلة الرهائن كانت تشكل الملامح الرئيسية للسياسة الخارجية والداخلية استمر الصراع مع أمريكا « الشيطان الاكبر » وجهدت الولايات المتحدة الامريكية الحسابات الايرانية فى البنوك الامريكية ورفضت الالتزام بالمعاهدات القديمة . تحت ضغط الحرب الايرانية والموقف العصية

داخل البلاد وبعد وساطة الجزائر الناجحة اطلق سراح الرهائن فرفعت الولايات المتحدة الامريكية الحظر المفروض على بعض الحسابات وحصلت ايران على الاسلحة وقطع الغيار اساسا من الدول الحليفة للولايات المتحدة الامريكية . وعلى الرغم من انفراج العلاقات مع غرب أوروبا بعد انتهاء مشكلة — الرهائن — نجد أنه لم يطرأ أى تحسن نوعى على العلاقات حيث وصلت علاقات رجائى مع بريطانيا الى مستوى منخفض تماما فى الوقت الذى تسم فيه تطبيع العلاقات مع اليابان التى أصبحت فيما بعد أهم مشتر للبتترول فى ايران .

(ب) الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية

كانت العلاقات الايرانية السوفييتية سيئة للغاية قبيل تشكيل حكومه رجائى خاصة بسبب ردود الفعل الشديدة للهجة على غزو افغنستان . وقد أشاد الجانب السوفييتى بتعيين رجائى باعتباره تعبيرا عن اتجاه معاد للامريكيين وعلق بيان سوفييتى على الصراع الداخلى على السلطة فى ايران على النحو التالى :

« كان بنى صدر وتلك الجماعات التى تسانده موالين للولايات المتحدة الامريكية والغرب وأوروبا . وفى الوقت ذاته كان الاصوليون المسلمون يتخذون مواقف وطنية » (يودفات ١٩٨٣ ، ١٢٦) .

وكانت كلمة مواقف وطنية تعنى بوضوح مواقف معادية للامريكيين بشكل واضح وموالية للسوفييت . وبعد اندلاع الحرب ايد أحد الاتجاهات داخل الحزب الجمهورى الاسلامى فكرة استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفييتى وقد أعلن جلال فارس زعيم الحزب ومرشح الرئاسة ذلك بقوله : « نحن لا نواجه العراق وحده بل أيضا الولايات المتحدة الامريكية . فالاسطول الامريكى فى الخليج ولا يمكن مقاومته بدون الاسلحة السوفييتية . وقد اقتبت تجارب فيتنام وكوريا ومصر فى عهد فلصر انه من المستحيل الدخول فى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الامريكية بدون أسنحة سوفييتية » (الجمهورية الاسلامية فى ١٩٨٠/١١/٢٩) .

ولم يحدث مثل هذا التعاون العسكرى ولكن تحسنت العلاقات الاقتصادية الايرانية مع الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية بشكل كبير فى عهد رجائى كما أمكن التوصل الى تسوية تكاليف تصدير الغاز الايرانى .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

أرسلت الدبلوماسية الايرانية فى فبراير ١٩٨١ وفودا الى بلدان مختلفه من دول العالم الثالث وذلك لتوضيح الموقف الايرانى فى الصراع مع العراق . بيد أن عزلة ايران وتبديد الطاقات والازمات التى نجمت عن الحرب قد حالت

عن إجراء اتصالات سياسية مكثفة مع دول العالم الثالث . وكان أهم حدث حضور رئيس الوزراء الإيراني الجمعية العامة للأمم المتحدة ويعتبر خطاباً الذي ألقاه فيها تسجيلاً وثقياً لسياسة إيران الخارجية في تلك الحقبة . وكانت إيران في عهد راجاي تمثل الجناح المتطرف داخل الدول الإسلامية وقاطعت اجتماعات منظمة الدول الإسلامية التي عقدت في الرياض في يناير عام ١٩٨١ .

دفعته الحرب مع العراق إيران إلى عزلة قوية كما أضعفت نشاطاتها الدبلوماسية وباستثناء اللقاء مع رئيس الوزراء الباكستاني على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تجر أية اتصالات سياسية أخرى . أما الشؤون الحكومية التي قامت بزيارات لدول العالم الثالث في فبراير ومارس من عام ١٩٨١ فقد تم إرسالها من قبل قسم الاعلام في المجلس الأعلى للدفاع كما أنها لم تجتمع إلا مع ممثلين غير رسميين لدول أخرى .

٤٠٤٠٣ الفترة بعد يونيو عام ١٩٨١

أما يمكن عزل بنى صدر وقوى أخرى معارضة بارزة يعنى سيطرة الاتجاه الراديكالى الكاملة فحسب . بل أيضاً السيطرة الكاملة لفاهيمه السياسية الخارجية واستمرت سياسة رجائى . وحدد رئيس الوزراء الجديد ملامح هذه السياسة في خطابه الذى ألقاه أمام الأمم المتحدة في نيويورك في ٥ أكتوبر عام ١٩٨١ .

وكانت الحرب الإيرانية العراقية ومتطلباتها تحدد دائماً توجهات السياسة الخارجية لإيران . ولم يطرأ أى تغيير على بيانات وأسس السياسة الخارجية في جوهرها منذ عام ١٩٨١ بيد أنها قد تقلبت مع الوقت بعض وجهات النظر البرجماتية . وتوثقت العلاقات الاقتصادية مع غرب أوروبا واليابان كما حدث تقارب ملموس مع الصين ولم يطرأ أى تغيير على المواقف الأساسية في السياسة الخارجية التي كانت تتميز برفض أيديولوجى للدول الكبرى والغرب تميزت أيضاً بالاشتراك الإيجابى فى المنظمات الإقليمية والدولية . وتأثرت العلاقات مع غالبية الدول المجاورة الدول العربية بشدة وبالتعااض المذهبى بين « الشيعة والسنة » .

٥٠٣ العلاقات مع الدول العربية وخاصة دول الخليج

كانت البيانات الرسمية للجبهة الإسلامية في البداية توجيهاً في محصلتها بسياسة عربية نشطة بيد أن إيران قد دخلت على النقيض من ذلك في صراع مع أغلب الدول العربية وحالت العقبات التالية دون حدوث أى تطور إيجابى في هذه العلاقات :

— كانت الشخصية العقدية الدينية للجمهورية الإيرانية بالماذهب الشيعة تشكل تهديداً على كثير من الدول العربية المحافظة والمتحالفة مع الغرب نظراً لأنها كانت تخشى نشاط الأقلية الشيعية .

— مبدأ « تصدير الثورة » .

— الحرب العراقية الإيرانية .

— أدى النفوذ الأمريكي في بعض الدول العربية مثل مصر والمملكة العربية السعودية وعمان إلى حدوث توتر بين إيران وهذه الدول في بعض الظروف خاصة مثل في مشكلة الرهائن .

— الخلافات داخل المنظمات الإقليمية وسياسة الاسعار المتفاوتة داخل منظمة الاوبك والخلافات السياسية الايديولوجية داخل منظمة الدول الإسلامية إلى زيادة حدة الخلافات والتوتر بين إيران وهذه الدول .

— التحالفات العربية المتنوعة والمتنازعة مع بعضها ، فعند اجراء اتصالات مكثفة مع إحدى المحاور كانت العلاقات تتعكر تلقائياً مع الدول الأخرى .

(١) شكلان للسياسة العربية

انعكست المفاهيم المختلفة للسياسة الخارجية الإيرانية على العلاقات الإيرانية العربية أيضاً . ويمكن أن نفرق بين اتجاهين رئيسيين : سياسة حكومة بازرگان التي واصلها إلى حد ما كل من بني صدر وقطب زادة وكانت تسعى إلى حدوث تحسن عام للعلاقات مع العالم العربي على الرغم من نوعية الأنظمة الحاكمة هناك وقد رفضت هذه السياسة فكرة تقسيم الدول العربية إلى دول محافظة وأخرى تقدمية وذلك تجنباً لسوء العلاقات مع جانب العالم العربي . وقد طرأ في عهد بازرگان تحسن نوعي على العلاقات مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج (الأنوار في ١٩٧٩/٩/١ ، النهار ١٩٧٩/٩/٢٠) .

أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الأموي : فقد أدى شعار تصدير الثورة إلى حتمية حدوث مواجهة مع الدول العربية المحافظة وخاصة المملكة العربية السعودية وتدنيت العلاقات مع أعضاء ما يسمى بـ « جبهة الرفض » (الجزائر وسوريا واليمن الجنوبي وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التي كانت تصنف الدول العربية إلى دول محافظة وأخرى تقدمية .

وبحاول تقديم تحليل مفصل لعلاقات إيران مع أهم الدول العربية وخاصة دول الخليج فقد لعبت هذه العلاقات دوراً هاماً في التاريخ المبكر للحرب العراقية الإيرانية كما أنها تفسر إلى حد ما اندلاع الحرب وتطور العلاقات العربية الإيرانية أثناء الحرب وحتى الآن .

(ب) العلاقات مع جبهة الرفض والمعارضة العربية

قامت ايران بلجراء اتصالات مكثفة نسبيا مع الجبهة المعادية لامريكا وهى ما يسمى بجبهة الرفض وهى نظام غير موحد ولكنه يتميز بالخلافات السياسيه والايديولوجية فنظام الحكم فى اليمن الجنوبي ماركسى وعلمانى. وعلى الرغم من الادعاء الاسلامى الذى تدعيه القيادة الليبية والذى يبدو للوهلة الاولى انه متقارب ومتواز مع ايران نجد أن هناك خلافات قائمة بين الاتجاه الايرانى وبين أعضاء جبهة الرفض فقد رفضت المؤسسة الشيعية فى ايران والمؤسسات السنية فى الدول الاخرى التفسير الليبى للاسلام وخاصة الحديث، ووصفته بأنه هرطقة .

اما سوريا فيحكمها حزب البعث العلمانى والذى يشن حملة دموية ضد الاحوان المسلمين (باناتوا ١٩٨١ - ٣٣١ - ٣٤٤) اما الصفوة الحاكمة فهى تحسب نفسها من طائفة العلويين وهى طائفة قديمة منشقة من المذهب الشيعى ولا تعترف المؤسسة الشيعية التقليدية بها كمسلمين .

كان الدافع للتقارب بين ايران وهذه الدول سياسيا لان هذه الدول قدمت نفسها كأطراف اقليمية حليفة كما تصور نفسها بأنها تشكل جبهة معادية لامريكا وتنهج استراتيجية اقليمية مشتركة بل واكبر من ذلك هى فى صراع دائم مع العراق وبعض الدول المحلظة الاخرى . وثمة سبب آخر للتقارب على الرغم من الاختلافات العميقة وهو البعد الجغرافى لهذه الدول بالنسبة لايران بالإضافة الى تكوينها المذهبى الداخلى حيث لا يشكل شعور « تصدير الثورة » تهديدا لها .

مع عهد حكومة بازرجان كانت العلاقات مع جبهة الرفض خاصة مع سوريا وليبيا علاقات محدودة وركزت هذه الحكومة على الجزائر والدول المعتدلة داخل جبهة الرفض والتي كانت تقوم بدور الوساطة فى العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والدول العربية المحلظة . ولكن قد تكثفت العلاقات مع كل من سوريا وليبيا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ ولم يكن ذلك ناتجا عن سيطرة الاتجاه الاصولى بل نتيجة العزلة المتزايدة .

كانت العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية على درجة اكبر من التعقيد والاختلاف فقد اقام آية الله خمينى فى منتصف الستينيات علاقات طيبة مع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت تجرى بعض التدريبات العسكرية ايضا. وفى حدى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ أعلن الخمينى أن المعركة الفلسطينية تعتبر « جهادا » وطالب المسلمين بالمشاركة والاكثر من ذلك استغل نفوذه على الشيعة فى لبنان لاقناعهم بأهمية مساعدة النضال الفلسطينى. وأصدر فتوى بتخصيص جزء من الزكاة للفلسطينيين .

وبعد انتصار الثورة قطعت إيران علاقاتها مع إسرائيل ووضعت مبنى السفارة الأمريكية تحت تصرف منظمة التحرير الفلسطينية . وفى فبراير عام ١٩٧٩ وجه عرفات تهديداً من عبدان على السجل الشرقى للخليج الى الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وأنه يربط بالفعل على الجانب الآخر من الخليج . بيد أن توقعات كل من إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تتحقق ومشكك أسلحة منظمة التحرير الفلسطينية وأن كانت قيادتها تعتبر من وجهة النظر الإيرانية برجماتية وانتهازية . وتعارضت علاقات منظمة التحرير الفلسطينية بالملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية الأخرى مع التصورات الإيرانية كما تعارضت بنفس القدر مع سعى قيادة المنظمة للحصول على اعتراف أمريكا بها .

(د) العلاقات مع دول الخليج

كانت علاقات إيران مع دول الخليج تتميز منذ قيام الثورة بخوف هذه الدول من السيطرة الإيرانية ومن انتشار روح الثورة . وكانت التيارات الأصولية المتطرفة تعتبر انتشار الثورة في دول الخليج مسألة وقت وأدى تصميم إيران على استمرار السيادة على الجزر الخليجية الثلاث المحتلة (البحرين في ١١/٣/١٩٧٩) وكذلك تصريحات آية الله روحانى المطالبة بالبحرين الى خلق موقف متوتر (اطلاعات في ١٥/٦/١٩٧٩) واستنبتت حكومة بازرجان التى كلفت تميل الى تخفيف حدة التوتر وتعمل على تطبيع العلاقات المشانلة وزير الخارجية الكويتى في طهران كما قام وزير الثقافة الإيراني بزيارة المملكة العربية السعودية في بداية شهر سبتمبر عام ١٩٧٩ وكان من المفروض قيام الأمير فهد بزيارة طهران رداً على زيارة الوزير الإيراني (الانوار ١٠/٩/١٩٧٩) حديث مع بازرجان ديسمبر ١٩٧٩ . وقام طاباطبائي نائب رئيس الوزراء الإيراني بعد وساطة خدام وزير الخارجية السوري بزيارة البحرين ودول خليجية أخرى في أكتوبر عام ١٩٧٩ (النهار في ٧/١٠/١٩٧٩ ، اطلاعات في ١٥/١٠/١٩٧٩) . وكانت الأنشطة الدبلوماسية بوجهة نصد استنجد الاحادى للسياسة الخارجية الإيرانية وخاصة ترويق أى تحالف مع الاتحاد السوفيتى الا أنها انتهت نهاية سريعة باستقالة بازرجان وتدهورت العلاقات مع دول الخليج والمملكة العربية السعودية ووصلت الى الحضيض بعد انتشار الاتجاه الاصولى وما ترتب على مشكلة الرهائن .

هذا وقد زاد تدهور العلاقات بسبب القرارات التى اصدرتها الجامعة العربية اثناء مشكلة الرهائن تحت تأثير الدول العربية المحافظة وكانت تنص على رفض مساندة إيران . كما ظلت العلاقات مع مصر محدودة وسلبية . وعلى الرغم من اخراج مصر من الخطيرة العربية بسبب معاهدة السلام مع إسرائيل نجد ان

مصر ظلت تتمتع بمكانة خاصة في الدبلوماسية الإيرانية بصفتها أقوى دولة عربية . الا ان عرض مصر منح الشاه المخلوع حق اللجوء ووضع منشآتها العسكرية تحت تصرف الطائرات الأمريكية أثناء عملية اطلاق سراح الرهائن الفاشلة خلق مناخا سيئا للغاية (متحدث باسم الحكومة الإيرانية في ١٥/٣/١٩٧٩ ، بيان مكتب الخميني ٣٠/٥/١٩٧٩) .

وكان لبنان يحظى ببعض الأهمية حيث تنعكس فيه الكثير من الصراعات الإقليمية والدولية بشكل مصغر وحيث يأوى طائفة شيعية قوية نسبية . وفضلا عن وجود الطائفة الشيعية كان هناك أيضا عاملان لهما اثرهما على العلاقات الإيرانية اللبنانية وهما وجود منظمة التحرير الفلسطينية ومقرها ، ثم نفوذ حليفها سوريا .

وقد ادت محاولة ارسال مئات المتطوعين الإيرانيين الى لبنان عبر سوريا للاشتراك في الكفاح ضد اسرائيل وحلفائها الى خلق ازمة دبلوماسية متعددة الجوانب (اطلاعات في ٢٩/٩/١٩٧٩) . وبعد عام ١٩٨٢ اتخذ الوجود الإيراني في لبنان ابعادا اقليمية اكبر .

٤ - اندلاع الحرب ومسارها

لا تتفق الوثائق الرسمية لكلا الجانبين في عرض اسباب الحرب وشرعيته المواقف المختلفة ولا تتفق في البداية الفعلية للحرب . فالجانب العراقي يسجل بداية الحرب (٢٢ سبتمبر ١٩٨٠) في تاريخ آخر : فقد بدأت ايران العدوان العسكري بالفعل في ٤ سبتمبر (فيرتسلي في ١٩٨١ ، ٣٥) (١) . ويؤكد هذه النظرية قيام وحدات من الجيش العراقي بتحرير جزء من الاراض العراقية التي كانت ايران قد ضمتها اليها بالفعل قبل اكثر من عشر سنوات .

وتزيد الاتهامات المتبادلة - بالاضافة الى الكم الهائل من بيانات الاحتجاج التي نشرها الطرفان - من صعوبة توضيح المسار الفعلي للخلافات في الشهور الاخيرة التي سبقت الحرب . وكانت وزارة الخارجية الإيرانية قد ارسلت ثلاثا وخمسين مذكرة احتجاج الى العراق في الفترة ما بين ابريل عام ١٩٧٩ وسبتمبر عام ١٩٨٠ ، احتجت فيها على ٦٣٧ عمليات استفزازية عراقية (الحرب ضد الثورة في ١٩٨١ ، ١١١) وفي الوقت ذاته تلقت ايران ١١٠ مذكرات احتجاج من الجانب العراقي يحمل العراق ايران فيها مسئولية القيام بعمليات مماثلة

(١) انظر خطاب وزير الخارجية العراقي امام الأمم المتحدة في ٣/١١/١٩٨١ .

١. نفس العمليات (حرب ضد الثورة ١٩٨١ ، ١١٤) • ولكن غالبية مذكرات الاحتجاج كانت متميزة وغير موضوعية وهجومية بدرجة لا يمكن اعتبارها وثائق جدية (٢) • وكانت الصحف ووسائل الاعلام الموالية لايوان والموالية للعراق تستخدم لتبرير موقف كل من النظامين ولذلك اختفت وراء هذه الهجمات المتبادلة الخلفيات الحقيقية للحرب وبدايتها الفعلية (زمزمى ١٩٨٥ ، فارن فرستلى ١٩٨١) • واكتسبت الخلفيات التاريخية والصراع من اجل السيطرة الاقليمية الذى جرى عرضه فى الاجزاء السابقة من الكتاب شكلا جديدا بعد نجاح الثورة الاسلامية فى ايران • فقد دعمها الحلاف العقدى كما ادت هذه الخلفيات وفى ظل ظروف اقليمية ودولية معقدة جدا الى اندلاع الحرب • ويجب البحث عن الاسباب الفعلية لنشوب الحرب فى ازدهار الابعاد الايدلوجية والسياسية (اى الاقليمية) ولذلك تعتبر الاتهامات المتبادلة حول المصادمات والاستعراضات المفصلة الخاصة بالعمليات العسكرية القتالية ذات اهمية ثانوية •

وفى الوقت الذى كانت تحتفل فيه الثورة الاسلامية بزعامه الحمينى بمرور عام على انتصارها فى ١٩٧٩ قدم الرئيس العراقى صدام حسين للرأى العام فى ٨ فبراير عام ١٩٨٠ مبادرته لاقامة - حلف قومى عربى موحد - ولم يكن التعاون السياسى والعسكرى الذى اقترحه صدام حسين فى هذه المبادرة وتضامن البلدان العربية ضد اى دولة (غير عربية) مقصودا به اسرائيل او غيرها بل القوة الاسلامية الناهضة حديثا فى ايران •

وقد رضخ العراق اثناء المظاهرات فى ايران قبل انتصار الثورة الاسلامية لضغط الشاه بطرد آية الله خمينى الذى كان يقيم منفيا فى مدينة النجف الشيعية المقدسة وقد كانت أنشطة الخمينى فى العراق لمساندة الثورة الاسلامية تتعارض مع المعاهدة التى وقعها كل من صدام والشاه فى عام ١٩٧٥ • ولكن طرد الحمينى لم يكن له نتائج سياسية تذكر على العلاقات بين الدولتين الا أن هذا الحدث قد ترك أثارا عميقة لدى الحمينى وأثر على موقفه الشخصى من النظام العراقى • وقعت بالفعل مصادمات فى الاسباب الاولى من قيام الجمهورية الاسلامية وكانت البداية الفعلية لنشوب الحرب هو الشعار الايرانى « تصدير الثورة » وخوف العراق ومن ورائه دول الخليج بوصفهم المقصود الاول بذلك • وفى ضوء ذلك يجب أن نوضح العوامل التالية :

(١) أصبح العراق بعد الثورة مباشرة ملجأ لاعضاء الجيش الايرانى وأجهزة المخابرات الايرانية وتحول ذلك الى مركز رئيسى لحركة معارضة جديدة

(٢) انظر على سبيل المثال : وزارة خارجية ايران ، نظرة على الحرب المفروضة طهران ١٩٨٣ ، وايضا : وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، حول الصراع العراقى الايرانى •

مناهضة للإسلام وإيران . وكانت بعض العناصر القيادية في الجيش مثل اللواء « خوزي » ينظمون أنشطتهم من العراق . كما استقبل العراق « بختيار » آخر رئيس وزراء في عهد الشاه استقبالا رسميا (النهار في ١٩/٣/١٩٨٠ ، السفير في ٢٠/٦/١٩٨٠) . وعلى الرغم من تعبير العراق عن ارتياحه لانتهاء نظام الشاه العدو التاريخي نجد ان ازدهار الزورة وما ترتب عليها من خطر على النظام العراقي دفع العراق للتعاون مع المتعاطفين مع الشاه .

(ب) كان إقليم خوزستان (الأهواز) في عهد انشاء منطقة غير آمنة ومضطهدة تأمل في الحصول على اصلاحات وعلى الحكم الذاتي وتحظى باصلاح من النظام الجديد .

وكان هذا الاقليم موضوعا دائما في تاريخ النزاعات بين البلدين وقد تصاعدت المقاومة في هذه المنطقة وفي كردستان وفي بعض اقاليم الحدود الاخرى بسبب الموقف السلبي للثورة الاسلامية تجاه مشكلة الجنسية (التي كان لها جذور اسلامية اصولية وعقدية) وايضا بسبب الشك في الاستجابة لمطالب الحكم الذاتي . وساند العراق المنظمات العربية المطالبة بالحكم الذاتي في هذه المناطق (لوموند في ١٩٨١/١/٣) ولم يتحول هذا الخلاف الى مظاهرات ومصادمات وأنشطة سياسية فقط بل أيضا الى عمليات ارهابية وعسكرية وحملت ايران العناصر المتحالفة مع العراق مسؤولية تفجير أنابيب البترول ، وعلى هذا الاساس قامت الجماهير الايرانية المتظاهرة في خورموشهر بالهجوم على القنصلية العراقية (الطليعة في ١٤/١١/١٩٧٩ ، الجمهورية (بغداد) في ١٥/١١/١٩٧٩) .

واكد العراق على الوجهة والطبيعة العربية لهذه المنطقة واعترض على تبعيةها لإيران وتشير الكتب والخرائط العراقية الى هذه المنطقة على انها منطقة عربية تحتلها ايران وفيما بعد نشرت ايران هذه الكتب والخرائط كقرينة على نوايا العراق لتقسيم ايران وكوثائق توضيحية لخطط الضم العراقية (الحرب المفروضة في ١٩٨٣) وكان التأييد العراقي لحركة الحكم الذاتي في هذا الاقليم وفي المناطق الايرانية الكردية الموضوع الرئيسي لمذكرات الاحتجاج الايرانية قبل اندلاع الحرب .

(ج) تأثرت المعارضة الشيعية في العراق باحداث ايران على الرغم من انها اتخذت خطا مستقلا عن ايران . وبعد الحرب مباشرة كثف العراق اجراءات التحكم والقمع ضد الطائفة الشيعية ففى بداية يونيو عام ١٩٧٩ فرضت الاقامة الجبرية على العالم الديني محمد باقر الصدر بسبب تبادل البرقيات مع الخميني ورفض العراق بيان احتجاج نشره الخميني شخصيا باعتباره تدخلا ايرانيا في الشؤون العراقية (النهار في ١٥/٦/١٩٧٩ ، الأنوار في ١٦/٦/١٩٧٩) .

وامسحت المعارضة الشيعية في العراق موضوعا للنزاع بجانب التدهور العام في الموقف بين العراق وايران واعدام الزعيم الشيعي الصدر وشقيقته قبل اندلاع الحرب وهي خطوة لم يسبق لها مثيل حتى الآن (بناتو في ١٩٨١ ، ٨) . وكان الجانب العراقي يعتبر المقاومة الشيعية اليد الطويلة وتدخلها في الشئون العراقية . وفي الاول من ابريل عام ١٩٨٠ حاول أحد الناشطين الشيعيين اغتيال عزيز نائب رئيس الوزراء وحمل ايران مسؤولية هذه المؤامرة وهدد بالانتقام (الجمهورية في ١٩٨٠/٢/٨ ، زمزمي ١٩٨٥ ، ٤٩ ، لوموند في ١٩٨١/٤/٣) .

(د) يجب التنويه بخطة العراق لطرد المدنيين العراقيين من اصل ايراني وتمتد جذور هذه المشكلة الى تاريخ الصراع بين الامبراطورية العثمانية والفارسية على مدى قرن من الزمن . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان من الممكن لسكان العراق الحالي الاختيار ما بين الجنسية العثمانية أو الفارسية . ولكن العراق الحالي بوصفه حليفا للامبراطورية العثمانية لم يعترف الا بالجنسية العثمانية كشرط للحصول على الجنسية العراقية ، ومنح الحاصلين على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخلي عن الجنسية الفارسية القديمة والحصول على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخلى عن الجنسية الفارسية القديمة والحصول على جنسية عراقية جديدة (الراوى في ١٩٨٠ ، ٤٢ ، ٤٥) ومع ذلك كان في امكان الذين احتفظوا بالجنسية الفارسية الحياة في العراق . ولا يمكن تصنيف جزء كبير من هؤلاء الاشخاص في عداد « الايرانيين » لأن معظمهم عرب عاشوا على الاراضي العراقية منذ أجيال كثيرة وكان كثير من أجدادهم قد حصل على الجنسية الفارسية لاسباب سياسية او مذهبية وغالبا حتى يتمكنوا من الهروب من الخدمة العسكرية .

ونتيجة للتوتر السياسي بين العراق وايران في عام ١٩٧١ بدأ العراق مؤخرا في طرد المواطنين من اصل ايراني . ولكن توقفت هذه السياسة بعد توقيع المعاهدة الايرانية العراقية في ١٩٧٥ بيد انها استؤنفت مرة اخرى قبل اندلاع الحرب الحالية . وبهذه الطريقة وقبل اندلاع الحرب قام ما يقرب من مائة الف مواطن ايراني بعبور الحدود الى ايران ومع مجرد زدن من املاكهم وعلى الرغم من ان النظام العراقي كان يكافئ طلاق الزيجات من اصل ايراني نجد انه قد تمخض عن ذلك الكثير من المآسي العائلية .

(هـ) وكانت عمليات الترحيل الاجبارية تعتبر عبئا اضافيا على ايران التي تحتم عليها ان تحارب في ظل ازمات اقتصادية طاحنة والتي كانت تعاني من معدل عال من البطالة . وحدثت ردود فعل عنيفة في ايران يمكن ادراجها ضمن الاسباب التي ادت اخيرا الى نشوب الحرب . وكان الهدف السياسي

للعراق هو التخلص من عدو داخلي اى التخلص من « الطابور الخامس » ولم يتمكن غالبية النازحين من الاندماج فى ايران واصبحوا يشكلون قاعدة لمعارضة اسلامية عراقية تساندها ايران . ومنذ عام ١٩٨٢ اصبح حق عودة هذه الجماهير الى العراق يشكل شرطا ايرانيا لعقد اتفاق سلام مع العراق .

هـ) وقعت ايران فى عزلة بسبب مشكلة الزهائن ووصلت حدة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية الى اقصاها وادى من جهة اخرى الى نقص فى المعدات الحربية وقطع الغيار . وتصاعد - قبل نشوب الحرب - الصراع الداخلى على السلطة فى ايران . وكان العراق يعد نفسه بعد الثورة الاسلامية لمواجهة عسكرية واخذ يهدد بالحرب منذ ابريل عام ١٩٨٠ حيث كان العراق يرى أن الوضع الداخلى فى ايران بصفة خاصة ، وانهيار الجيش ، والصراع الداخلى على السلطة بالاضافة الى الموقف الخارجى خاصة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية ، والعزلة الدولية كان العراق يرى أن هذه الامور كلها تنذر بالحرب -

و) وصل التوتر بين ايران ودول الخليج الى درجة عالية ورفض العراق تصورات تأمين المنطقة فى اطار جهود الوساطة التى بذلتها سوريا للتقريب بين هاتين الدولتين . كما احتج العراق بشدة على هذه التصورات وأكد انه يحارب دفاعا عن مصالح دول الخليج ضد الخطر الايراني . وكانت مطالبة العراق باستعادة الجزر الخليجية التى تحتلها ايران والتى تتبع دولة الامارات تتفق مع هذه الرؤية حيث أضفى العراق ابعاد اقليمية على حربه وعلى مطالبه السياسية واراد بذلك جر دول الخليج الى الاشتراك فى الصراع . وكان التنافس العراقى الايرانى القديم على الهيمنة على الخليج وراء هذا الهدف السياسى الذى كان لا يمكن تحقيقه الا بعزلة ايران بدخولها فى صراع مع الدول العربية الاخرى .

ز) دخلت معاهدة الجزائر الى طريق مسدود وأصبح البند الثالث منها - الذى ينص على عدم تدخل أى من الدولتين فى شئون الدولة الأخرى وإقامة تعاون آمن - أصبح غير قابل للتنفيذ فى ظل الظروف الجديدة بعد قيام الثورة فى ايران ونظرا لان المعاهدة - كما هو منصوص فيها - لا تصبح سارية المفعول الا بتنفيذ كافة بنودها نجد أنها قد فقدت فعاليتها فى ظل الشروط الجديدة (الفقرتان الثالثة والرابعة من المعاهدة موجودتان فى الملحق - انظر الراوى ١٩٨٠ ، ٩٦) اما بالنسبة للعراق فكان تعديل المعاهدة فى صالحه .

وفى سبتمبر عام ١٩٨٠ أعلن العراق من جانبه عدم سريان معاهدة الجزائر . وذلك انهار الأساس الذى يقوم عليه السلام وبرر العراق اتخاذ هذه الخطوة بحجة ان ايران قد خرقت فى الواقع هذه المعاهدة (الراوى ١٩٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٠)

وبدأت الاعمال العسكرية في ٤ سبتمبر ويعتبر الغزو الكبير الذى قام به الجيش العراقى في ٢٢ سبتمبر بداية للحرب .

ربط العراق الانتصار السريع بقائمة من الاهداف السياسية بدءا من الاطاحة بالنظام الايرانى وتقسيم ايران بسبب مشكلة القوميات حتى ابرام معاهدة بالشروط العراقية . بيد ان هذه الانتصار السريع لم يتحقق وبدلا من ذلك قامت ايران بغزو مضاد . ونحاول تقسيم مسار الحرب في الفترة ما بين سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٤ بكل ما فيها من احداث عسكرية وسياسية الى ثلاث فترات رئيسية .

— الغزو وحرب الموائع الثابتة : سبتمبر ١٩٨٠ — مارس ١٩٨١

— التقهقر والغزو المضاد : مارس ١٩٨١ — مارس ١٩٨٤

— حرب استنزاف وحرب الموائع الثابتة : مارس ١٩٨٤

المفزو وحرب المواقع الثابتة

(سبتمبر ١٩٨٠ — مارس ١٩٨١)

(أ) المفزو

سيطرت وحدات الجيش العراقى فى الفترة ما بين ٤ ، ٢٢ سبتمبر على ما يقرب من ٢٠٠ كيلو متر من الارض الايرانية فى منطقة سيف التى تعتبر من وجهة النظر العراقية جزءا من العراق . واستمر تبادل النيران بشكل منتظم بين الجنود المرافقين على طول الحدود فى هذه الفترة (زمى ١٩٨٥ ، ٣٩ — ٤١ ، بيرتسلى ١٨٩١ ، ١١٧) .

وفى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٠ قصفت طائرات مقاتلة عراقية عشر قواعد عسكرية ومطارات ايرانية فى آن واحد تقليد الهجمات الاسرائيلية على السلاح الجوى فى مصر فى بداية ١٩٦٧ . بيد ان الهجوم كان محدودا نسبيا نظرا لتفوق السلاح الجوى الايرانى على السلاح الجوى العراقى كما وكيفا وتدريبيا لطياريه . وكان يمكن ان يؤثر نجاح هذه العملية تأثيرا حاسما على مسار الحرب .

ومن ٢٣ حتى ٢٤ سبتمبر قام السلاح الجوى فى كلا البلدين بقصف مكثف للمنشآت الاقتصادية وخاصة حقول البترول التى كانت نقاطا رئيسية للهجوم . وفى ٢٣ سبتمبر بدأت اكبر عملية برية فقد عبر ما يزيد عن ٢٠٠.٠٠٠ جندي عراقى ، من رابع خطوط الجبهة ، الحدود ، لاحتلال اقليم خوزستان بشكل رئيسى انذى تقطنه اغلبيه عربية . وكان الهدف الاول احتلال مدن هذا الاقليم خورمشهر وديسفل وعبدان واحواس (حيث تقع اهم حقول البترول) (هيو ١٩٨٤ ، ٥) .

ولم تبد القوات المسلحة الايرانية اية مقاومة منتظمة نظرا لانها لم تكن على استعداد لمواجهة مثل هذا الحدث . وكانت الروح المعنوية والقوة الضاربة فى الحضيض بسبب عمليات التصفية والتطهير بعد الثورة . لم يكن عدد الجنود المستعدين للقتال سوى ١١٠.٠٠٠ من بين ٣٢٠.٠٠٠ جندي وكل جزء منهم متورطا بالفعل فى الحرب الاهلية المتصاعدة من قبل فى كردستان وكان الجزء الاكبر من وحدات الجيش الفنية مرابطا على الحدود السوفيتية ومن الناحية التقليدية كان الثقل الرئيسى لوحداث الجيش الايرانى فى الشمال وليس الجنوب . وقد عمل المفزو السوفيتى لافغانستان والتوتر بين ايران والاتحاد السوفيتى على تثبيت هذه الاستراتيجية وكانت عمليات التطهير فى الجيش وصلت ذروتها قبل الحرب انكشاف خطط انقلابية وطبقا لبعض المصادر اتخذ رجال الدين الحاكمون من هذه الخطط ذريعة ان الجيش ليس موضع الثقة . وقامت وحدات من الجيش

تحركت تلقائيا ، بالتصدي للفزو العراقي كما تصدى له الحرس الثوري والحرس المحليون .

واثر عاملان على مصير الغزو العراقي . اولا : لم يشعر السكان العرب في هذه المنطقة بأى تعاطف مع الغزاة بل تصدوا لهم . وعلى الرغم من تدمير السكان على الحكم الايرانى لم تصدر أية بيانات تعاطف مع العراق على اساس الخراب الذى نجم عن الفزو (زمضى ١٩٨٥ ، ٤٨ ، لوموند فى ٢٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٩) . ولم يتمكن العراق فى غضون شهر كامل من احتلال اى مدينة سوى مدينة خورمشهر . وكان ٩٠٪ من هذه المدينة قد دمر بسبب مقاومة السكان المكثفة . وبعد شهرين سيطر العراقيون على ما يقرب من ثلث الاقليم وهو جزء مدمر وضئيل السكان . وقد تم اجبار ما يقرب من مليون ونصف مليون من سكان خوزستان للهرب الى وسط ايران . ثانيا : اثبت لاجيش الايرانى على عكس التقديرات العراقية ولاءا كاملا للنظام وكان العراق يأمل فى كسب جزء من الجيش لصفه بيد ان العمليات الحربية قد اثرت فى اوساط الجيش الايرانى تماما وشجعت ولاءهم للنظام .

تركزت العمليات الحربية فى الشتاء لاسترداد مدينة عبادان المحاصرة من القوات العراقية . وفى شهر ديسمبر فتح الجيش العراقى جبهة جديدة فى كردستان الايرانية ولم يحالفه النجاح لنفس الاسباب التى واجهته فى خوزستان ، حقيقة كانت الحركة الكردية تحارب النظام الايرانى اعتمادا على مساندة العراق بيد انها لم تربط نفسها بالاستراتيجية العراقية . وفى يناير عام ١٩٨١ حاولت ايران القيام بهجوم صغير بيد انه تعثر . وفى شهرى نوفمبر ومارس لاحت مظاهر الانهك على الجيش العراقى وطبقا لجميع الظواهر لم يعد قادرا على مواصلة الهجوم بنجاح

ب - حرب المواقع الثابتة

استطاع العراق السيطرة على ما يقرب من ١٤٠٠٠ كيلو متر مربع ، ونظرا لانه لم تكن هناك بوادر على تحقيق نصر سريع أو نهاية للحرب ركز قواه على بناء تحصينات وخطوط دفاعية . وخلال عام تقريبا اى بدءا من مارس ١٩٨١ حتى مارس ١٩٨٢ نظمت ايران المقاومة فى خوزستان ولكنها لم تتمكن من بدء هجوم كبير يمكن ان يرغم القوات العراقية على الانسحاب . وبمرور الزمن انقلب الحظ ليصبح حليفا لايران . فقد قام سلاح الجو الايرانى بتحطيم ٤٦ طائرة عراقية مقاتلة فى غارة ناجحة على قاعدة لسلاح الجو العراقى .

وادعت الحكومة العراقية ان الطائرات الايرانية قد اقلعت من قواعد سورية (هيو ١٩٨٤ ، ٧ : شتاونماير ١٩٨٣ ، ٨٤ ، ٢٤) .

ان ثمة تطورا جديدا، فرض نفسه في هذه الآونة هو المجال الاقتصادي . فقد كانت ايران بعزلتها المتزايدة من أزمات اقتصادية ولكنها زادت اخيرا من انتاجها للبتترول . وباعته بأقل من مستوى الأسعار الذى حددته منظمة الأوبك وترتب على ذلك ارتفاع عائدها من البترول في ابريل عام ١٩٨٢ ليصبح مقاربا لمستوى الذى كان عليه قبل الحرب . ومن جهة أخرى عطلت أحداث الحرب تصدير البترول العراقى من أهم حقوله في الجنوب ونتيجة لذلك لم يتمكن من تصدير سوى ثلث الكمية المعتادة عبر انابيب البترول الممتدة عبر سوريا وتركيا (هيو ١٩٨٤ ، ٨) واستنفد العراق — الذى يعد أقوى من ايران من ناحية العائد البترولى — احتياطه من العملات الأجنبية (ما يقرب من ١٥ مليار دولار) وانصبح يعتمد ماليا على دول الخليج .

وادت الاحداث الداخلية في ايران الى تقوية القوى الداعية لمواصلة الحرب وأدى التخلص من الرئيس بنى صدر والقوى المعارضة الأخرى الى وقوع السلطة السياسية في ايدى الأصوليين الاسلاميين الذين يؤيدون مواصلة الحرب .

وتمكنت وحدات الجيش الايرانى من احراز نصر جزئى في العمليات البرية ايضا — نفى صيف ١٩٨١ امكن اختراق الحصار العراقى لمدينة عبادان وفى نوفمبر استولت وحدات ايرانية على تحصينات على طول نهر قارون الذى يعتبر خطا دفاعيا جغرافيا هاما . ويمكن وصف هذه الفترة ابتداء من مارس ١٩٨٢ بأنها فترة حرب المواقع الثابتة فلم يتمكن أى طرف من تحقيق نجاح كاسح (شتاتونماير ١٩٨٣ ، ١٣٨٠٢ ، هيو ١٩٨٤) .

ومن الناحية السياسية وصل الغزو العراقى لايران الى طريق مسدود وانخفضت المطالب العراقية الرسمية عمليا عند نهاية هذه الفترة الى الصفر ونم يبق سوى مطلب الانسحاب الحر وغير المشروط .

كان العراق قد أعلن في بداية الحرب تحرير عريستان البلد العربى (خوزستان) وذكر نائب رئيس الوزراء ان حقول البترول في خوزستان حقول عربية وطالب بأحقية العراق بها (هيو ١٩٨٤ ، ٦) وفى بداية الحرب كانت هناك مبادرات عديدة من جانب الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز ومنظمة الدول الاسلامية لتسوية الخلاف وانهاء الحرب . هذا ووضع العراق — الذى كان يفكر فى انتصار سياسى سريع — الشروط التالية للسلام .

✽ عودة كل شط العرب الى سيادة العراقية .

✽ تعديل الحدود نظرا لان العراق قد شعر بأنه تعرض للخسائر فى معاهده الجزائر .

✽ عودة الجزر الثلاث التى تحتلها ايران للعرب .

* عدم تدخل ايران في الشؤون الداخلية العراقية (زيمى ١٩٨٥ ، ٩٩ ، لوموند في ١٩٨٠/٩/٢٧ ، ١٩٨٠/٩/٣٠ ، ١٩٨٠/١٠/٣) .

ولم تطالب دول الخليج على الاطلاق باستعادة الجزر ولم تجعل من العراق متحدثا عن مطالبها . وكان الموقف الايراني واضحا وهو رفض أى وقف للقتال الى أن يتم الانسحاب غير المشروط للقوات العراقية وادانة المنظمات الدولية للغزو العراقى وقد قيل ذلك بوضوح « لاولوف بلوم » المبعوث الخاص من الأمم المتحدة . وقد حاول العراق — الذى كان مهتما بالتوصل الى حل سريع للمشكلة — ممارسة ضغط عسكري اكبر على ايران عن طريق محاولته احتلال مدينة سوسنجات في ١٩ ، ٢٠ مارس عام ١٩٨١ ، بيد ان الجيش العراقى قد منى بهزيمة نكراء في هذه المحاولة الأمر الذى كلن يعتبر اشارة واضحة على حالة الجيش العراقى المنهك . ولقد كانت معركة سوسنجات نقطة تحول من مرحلة الغزو الى مرحلة حرب المواقع الثابتة خلال الفترة الأولى للحرب .

ولم تنجح الخطة العراقية لاستغلال تدمير الأقلية القومية في ايران باستثناء نجاح جزئى في كردستان . وكانت التوقعات العراقية تذهب الى ان شخصية ايران الشعبية تمثل نقطة الضعف التى يمكن ان تؤثر على مسار الحرب (وكانت وسائل الاعلام العراقية تتحدث في الغالب من شعوب ايرانية وليس عن شعب ايرانى) . وكثيرا ما كان الرئيس العراقى صدام حسين يوجه رسائله المفتوحة الى « الشعوب الايرانية » . وفي بداية الحرب دعا العراق الشعوب الايرانية الى التحرر من نظام الحمينى والتعاون مع العراق ، ويتضح من ذلك أن الهدف العراقى كان تغيير نظام الحكم في ايران (انظر زيمى ١٩٨٥ ، ١٠٠) .

فشلت الجهود الايرانية لكسب الشعب العراقى باستثناء بعض منظمات ذات ميول سياسية واتجاهات معينة ولم تجد نداءات الخمينى للقبائل العراقية للثورة على النظام ولسكان المدن للتوقف عن دفع الضرائب واية مستحقات عامة أخرى لم تجد هذه النداءات الا صدى ضئيلا . واتضح في هذا المجال مدى جهل النظام الايرانى بخواص النظام العراقى وظروف الصراعات الداخلية في العراق . وفي ابريل عام ١٩٨٢ . أعلنت ايران بما لا يدع مجالا للشك: ان هدفها هو الاطاحة بنظام حكم صدام حسين (هيو ١٩٨٤ ، ٦) .

وكلما ازداد اليأس في مسار الحرب وكلما زاد الخصمان من المناورات في المواقع الحربية الثابتة كلما أصبحت رؤيتهم للهدف أكثر بعدا عن الواقع اتساعا . وجرى ترتيب التحالفات في الفترة الأولى على المستويين الاقليمى والدولى لمواصلة الحرب . وايد الاردن فقط العراق صراحة وبذلك فشلت خطة العراق لتعريب الحرب فقد اعربت المملكة العربية السعودية ودول الخليج عن تأييدها السياسى الحذر للعراق كما قدمت له مساعدات مالية سخية بيد انها

رفضت أى تدخل عسكري ، هذا ووضع الكويت أراضيها وخليج العقبة في الأردن تحت تصرف العراق . ولكن الهجوم الجوي الإيراني على قوافل النقل العراقية بالسيارات في الاراض الكويتية دفع لكويت لاتخاذ موقف أكثر حزمًا (هيو ١٩٨٤ ، ٦) .

كان الموقف الإيراني يحظى بتأييد سوريا وليبيا وبتأييد أقل من الجزائر واليمن الجنوبي مما أدى الى فشل الخطة العراقية التي تهدف لاقامة تضامن عربي قوى مع العراق . وفي نوفمبر عام ١٩٨١ اتسع نطاق حملة المتطوعين المصريين للعراق (هيو ١٩٨٤ ، ٨) وفي ديسمبر أعلنت البحرين عن محاولة انقلاب قامت بها منظمة موالية لايوان الامر الذي فهم على أنه تحذير لدول الخليج (هيو ١٩٨٤ ، ٨) . وابتداء من فبراير عام ١٩٨٢ انشغل مجلس التعاون الخليجي بوضع خطط لأمن الخليج وقدمت الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها آراء مشابهة (انظر أنتوني ١٩٨ ، ١١٢ - ١١٤) .

٢٠٤ - الانسحاب والغزو المضاد

مارس ١٩٨١ - مارس ١٩٨٤

(١) انسحاب القوات الإيرانية

لاحت في ربيع ١٩٨٢ بوادر هجوم مضاد من جانب القوات الإيرانية . وتوقع الجيش العراقي الهجوم الإيراني على خورم شهر بيد أن إيران هاجمت خطوط التحصينات الشمالية عند ديسفول . ووقع الهجوم في ٢١ مارس العيد الوطني العراقي وكان لابد أن يشير هذا التاريخ الرمزى وطنية وحدات الجيش الإيرانية . حيث اشترك ٢٠٠٠٠ جندي إيراني في هذه العملية واستخدمت المدفعية وطائرات الهليكوبتر بجانب الأسلحة الخفيفة والمتوسطة (صواريخ آر.بي.جي.٧ ، آر.بي.جي.١٠ ، إلخ) وفي فترة وجيزة تم تحطيم خطوط التحصينات العراقية وتدمير ثلاث وحدات للجيش من بينها وحدة للمشاة الميكانيكية كما أسر ١٥٠٠٠ جندي عراقي (شتاونماير ١٩٨٣ ، ٤٠) .

وكان الجيش العراقي الذي كان يتوقع هجوما إيرانيا منذ وقت طويل قد أصيب بالانهك كما تحطمت معنوياته القتالية . بعد أن كان العراق قد دخل الحرب بتطلعات واسعة في البداية أعلن الآن استعداده للانسحاب غير المشروط . وقد أثار الموقف المتغير داخل أواسط الجيش تساؤل عن جدوى الحرب وأثر تأثيرا مهبطا للعزيمة . وهذا هو السبب المباشر لانتهاء السريع للجيش العراقي الذي كان مفاجأة للمراقبين الغربيين أنفسهم . وبعد الانتصار أعدت إيران نفسها لاستعادة مدينة خورم شهر ولكنها تركت لنفسها مهلة كثفت خلالها الضغط الاقتصادي والسياسي على العراق . .

وفي ٨ أبريل أغلقت سوريا حدودها مع العراق بحجة مساندة العراق لنزوح المسلمين المعارضين ، وبعد يومين أوقفت خط أنابيب البترول العراقي في بانياس على البحر المتوسط وفي الوقت الذي استطاعت فيه إيران رفع مستوى انتاج البترول الى نفس مستواه قبل الحرب ، انخفض هذا المستوى في العراق ليصل الى ٦٠٠٠٠ برميل يوميا . ونتيجة لذلك وجد الرئيس العراقي صدام حسين نفسه مرغما على فرض سياسة تقشفية صارمة في بلاده . والغيت في ظل سياسة « شد الحزام » العديد من الامتيازات أو خفضت .

برأت الاجراءات السورية الى تضامن المحور العربى مع العراق
وذكرت مصادر غير رسمية انباء عن مرابطة أكثر ٢٠.٠٠٠ جندي أردني في
العراق . اما مصر فباعته للعراق في مارس ١٩٨١ أسلحة بلغت قيمتها مليون
ونصف مليون دولار (واشنطن بوست في ١٩٨٢/٥/٢١) كما شجعت اشتراك
المتطوعين المصريين في الحرب . ومن بين المليون المصري العاملين في العراق
تطوع ما يقرب من ١٥٠.٠٠٠ و ١٧٠.٠٠٠ في خدمة الجيش العراقي . وقد
انكر العراق وجود أية وحدات أردنية أو مصرية نظامية بيد أنه أعلن النجاشي
١٤٠.٠٠٠ عربى من دول عربية أخرى (مصر والاردن والسودان والمغرب
ونونس وانين الشمالى) بالجيش الشعبى العراقى (هير ١٩٨٤ ، ٨) .

واقترح العراق الذى كان يخشى هزيمة في خورم شهر هدنة للانسحاب
غير المشروط لجيشه . ورفضت ايران هذا العرض لانها كانت تدرك مدى
الضعف الذى أصلب العراق وفي ٢١ مايو بدأت ايران الهجوم على الجنود
العراقيين الـ ٣٥٠.٠٠٠ الذين كانوا يحاصرون خورم شهر بحوالى ٧٠ ألف
جندي أبراني ولم يكن هناك صدق للنداء العراقى الذى وجهه الى الجامعة
العربية . وفي ٢٤ مايو انهار الجيش العراقى ووقع ١٢٠.٠٠٠ جندي عراقى
أسرى في أيدي الجيش الايرانى . وبعد تحرير خورم شهر ركزت ايران عملياتها
في المناطق الواقعة في القطاعات الشمالية والوسطى من الجبهة والتي كانت
لا تزال محتلة من العراق .

حددت ايران الآن أهدافها السياسية من الحرب بشكل مادي . وسعيها
الى تحييد دول الخليج اظهرت عدم اهتمامها بالتدخل في شئون تلك الدول .
وأصبح السلام ممكنا من وجهة النظر الايرانية في حالة عزل الرئيس العراقى .
وتشاورت كل من المملكة العربية السعودية وسوريا حول الخليفة المتوقع
لصدام حسين . وقد اقترحت المملكة العربية السعودية شفيق دوراشي لهذا
المنصب الذى كان سفيراً للعراق في الرياض كما كان رئيساً سابقاً لجهاز
المخابرات وسكرتيراً سابقاً لمجلس الثورة العراقى . أما سوريا فقد شجعت
فكرة عودة الرئيس العراقى السابق البكر الذى استطاع تسوية الصراعات
المستعرة بين أجنحة حزب البعث في ربيع ١٩٧٩ وتبكن بذلك تحقيق التقارب
مع سوريا الى أن استبعده نائبه صدام حسين (جارديان في ١٩٨٢/٦/٣١) .

ولا يعمل على المعلومات الخاصة بالمفاوضات السرية ومن الممكن تماماً أن
يكون الايرانيين . الذين كانوا يشعرون بموقفهم القوى — قد أبدوا عدم
استعدادهم لقبول مرشح يقبل التسوية . فقد تم اعدام عدد من السياسيين
من بينهم ابراهيم وزير الصحة — الذين كانوا يؤيدون اقتراحات التسوية
على أساس انها في مصلحة العراق .

وفي ٢ مايو قدم مجلس التعاون الخليجي اقتراحا بوقف اطلاق النار لمدة عشرة ايام حتى يتم انسحاب الجيش العراقى واجراء مفاوضات جديدة بين الاطراف المتنازعة على اساس اتفاقية الجزائر ورفضت ايران هذا الاقتراح أيضا (هـ ١٩٨٤ - قارن الجارديان في ١٩٨/٥/٧) .

واضاف غزو اسرائيل للبنان في اوائل يونيو عام ١٩٨٢ عنصرا جديدا للحرب . وقد حاول العراق الاستفادة من هذا الوضع حيث دعا الى انتهاء الحرب والمنضال المشترك ضد اسرائيل . وردت ايران بشكل واضح ان « تحرير القدس يمر عبر كربلاء » (زمزمى ١٩٨٢ - ١٢٢ - ١٢٧) .

الغزو المضاد

رفضت ايران في ١٢ يوليو ١٩٨٢ اقتراحا من جانب مجلس الامن يتضمن هدنة يتم خلالها انسحاب كل من الجيشين . وكانت ايران تخطط للقيام بغزو للعراق بهدف الاستيلاء على البصرة ثاني اكبر المدن العراقية . وفي الفترة بين ١٢ حتى ٢٢ يوليو وصلت القوات الايرانية الى مواقع مجاورة تماما من المدينة بيد أنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها . وقد تكبدت ايران خلال المعارك الحربية اكبر خسائرها من الجنود (هيو ١٩٨٤ ، ١٠ ، أنظر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٢٧) . ويرجع الفضل في نجاح العراق الى سلاحه الجوى القوي وإلى أكبر قوة للثيران وإلى الخطوط الدفاعية التي أنشأها خبراء عسكريون أجانب على أحدث النظم وبالإضافة الى ذلك لعبت الروح القتالية للقوات العراقية التي كانت تحارب على أرضها وليس على أرض أجنبية دورا أساسيا وكانت ايران لا تضع هذا العامل في اعتبارها في العمليات الايرانية الأخيرة .

بيد أن ايران تمكنت من احراز نصر دبلوماسي ، وتحت الضغط الإيراني تم إلغاء مؤتمر عدم الانحياز الذي كان سيعقد في العراق ونقل الى مكان آخر (وكان العراق قد أعد قائمة مؤتمرات جديدة لهذا الغرض كما كان صدام حسين يأمل في رفع مكانته) .

وفدأت ايران مطالب جديدة : —

— ادانة الغزو العراقي .

— حق العودة لمئات الاولوف من الشيعة الذين طردوا من العراق .

— دفع مائة مليار دولار كتعويض عن خسائر الحرب (هيو ١٩٨٤ ، ١٠) .

وفي شهر سبتمبر ونظرا لاقتراب موسم الحج تقدم مؤتمر فاس بقتراح حديد لوقف القتال وهو : انشاء صندوق اسلامي خاص لاعادة التعمير تشترك في تمويله الدول العربية البترولية ويتولى دفع التعويضات المطلوبة ولكن ايران رفضت هذا العرض أيضا نظرا لأنها كان مهمة اساسا بلحادث تغيير رايكالي في نظام الحكم العراقي . وابتداء من نهاية شهر اكتوبر عام ١٩٨٢ حتى يوليو عام ١٩٨٣ نظمت ايران هجمات موسعة في القطاع الاوسط للجبهة (تجاه بغداد) وفي المنطقة الكردية في الشمال عن طريق ما يسمى « بالحوائل البشرية » وقد كبدت هذه العمليات ايران خسائر فادحة ولم تحقق سوى نجاح نسبي فقط . فقد تمكنت ايران حقا من كسب اراض جديدة بيد أنها لم

تستطع الاستيلاء على أية مدينة أو على الطريق الاستراتيجي بين بغداد والبصرة .

أما بالنسبة لقطاع التسليح فقد تحول (البترول) لصالح العراق الذي كان قد فقد أثناء فترة الانسحاب والغزو الإيراني المضاد ١١٧ طائرة و ٢٣٠ دبابة ولكنه تمكن بسرعة من تعويض هذه الخسائر . واعد العراق بناء أسطولته الجوي بحوالي ٢٣٠ قطعة من الطائرات الصينية الصنع (ام . ان سي . ١٩ ، ام . ان . سي ٢١) التي اشتترها من مصر بالإضافة الى طائرات الميراج الفرنسية (هيرو ١٩٨٤) . واعد الاتحاد السوفيتي ، الذي كلفت اسلحته في بداية الحرب تشكل ٨٥٪ من الاسلحة العراقية والذي كان قد خفض امداداته من الاسلحة بشكل كبير ، واعد الى تكثيف هذه الادادات بسبب الغزو الإيراني المضاد ورفع الحظر الذي كان مفروضاً على مبيعات السلاح وحصلت ايران على مواد التسليح من كوريا الشمالية ومن سوريا وليبيا من السوق السوداء الدولية كما تمكنت ايضاً من تنظيم الحصول على قطع غيار اسرائيلية الصنع لطائراتها وكان النقص في التسليح واضحاً بالنسبة للسلاح الجوى ولم تتمكن الحوائط البشرية أن تحل محله وانخفض عدد المقتلات في فترة الحرب من ٤٧٥ الى ٨٠ طائرة (هيرو ١٩٨٤ ، ١٠ ، انظر شاونماير) .

وكانت هناك ظروف سياسية مسؤولة عن فشل الغزو الإيراني المضاد والهجمات الإيرانية المضادة . ففي الفترة التي تلت النجاح العسكري العراقي في كردستان (احتلال منطقة حاج عمران) أعلنت ايران أن توحيد المعارضة الشيعية في العراق فيها يسمى بمجلس الثورة الاسلامية في العراق يعتبر بديلاً عن النظام الحاكم ، بيد أن هذا البديل الشيعي المتحالف مع ايران لم يلق سوى قبول ضئيل بين الشعب العراقي خاصة في كردستان . ويمكن الإشارة الى أسباب أخرى أدت الى فشل الغزو الإيراني المضاد كالعزلة النسبية للبلاد والمحاولات التي بذلت من أجل كسب النفوذ السياسي في العراق ، مما ساعد صدام حسين على مساعدات غير متوقعة . وعلى الرغم من التفوق العسكري الإيراني في النصف الاول من عام ١٩٨٢ نجد أن العوامل السياسية - وخاصة تأييد الدول الكبرى والاقليمية للعراق - أدى الى افشال الأهداف الإيرانية لتغيير نظام الحكم العراقي (هيرو ١٩٨٤) .

واستطاع الجيش العراقي حقا إيقاف الزحف نحو مدنه ، بيد أنه لم يتمكن من طرد الجيش الإيراني خارج البلاد بل قلم العراق بقصف المدن الإيرانية . وفي يناير عام ١٩٨٧ أمدت فرنسا العراق بأحدث الطائرات وهدد العراق بقصف تحول البترول الإيراني وكان العراق يرغب تحقيق هدفين من هذا التهديد :

أولاً : اجبار كل من ايران وسوريا على فتح خط انابيب البترول العراقي المتوقف على البحر المتوسط .

ثانياً : توريث دول الخليج والدول الكبرى في الصراع للتعجيل باتهاء الحرب .

واعلنت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية وخاصة فرنسا في هذه الفترة تأييدها للعراق وذلك للحيلولة دون أى هجوم إيراني حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى أساساً الى تأمين حلفائها في الخليج وتأمين مصالحها الاستراتيجية ، أما فرنسا فقد كان اهتمامها منصبا على الحفاظ على مصالحها كمنتج للأسلحة مورد لتطوع الفيلق النظام صدام حسين (هيو ١٩٨٤ ، ١١) وقد وصلت قيمة صادرات الأسلحة الفرنسية في الفترة من سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٣ حوالى ٦٠ مليار دولار ، وتمت تغطية عملية الدفع عن طريق قرض فرنسي (هيو ١٩٨٤ ، ١١) وكان انتقال السلطة الى نظام اسلامي موال لايران يعنى اصابة فرنسا بخسائر اقتصادية فادحة الى جانب النتائج الإقليمية غير المرجوة وقد كان ممكناً أيضاً أن تتزايد حجم هذه الخسارة في حالة رفض هذا النظام إعادة دفع الالتزامات القائمة .

وفي عام ١٩٨٣ ، احتلت ايران مناطق جديدة في بن جوين في كردستان العراقية واضطر السراق الى ارسال قوات الحرس الجمهوري للدفاع عن المناطق واستخدام الأسلحة الكيميائية لأول مرة . وقصف المدن الايرانية بأحدث الصواريخ من طراز سكود بي وأجبر الهجوم على السفارة العراقية (في نوفمبر) ومنشآت كويتية من قبل المنظمات الموالية لايران والكويت على وقف تأييده للعراق .

وفي فبراير عام ١٩٨٤ بدأت ايران في شن هجوم جديد على الجبهة الجنوبية بهدف الاستيلاء على مدينة كورنا الواقعة على ملتقى نهري دجلة والفرات عند مدخل شط العرب . وفي ٢٢ فبراير أعلنت ايران نجاح هذه العملية ، الامر الذي كان مفاجئاً للحقيقة ، فالوحدات الايرانية كانت قد وصلت بالفعل الى الطريق الذي يربط بين بغداد والبصرة الا انها أجبرت على التراجع وقد احتلت القوات المسلحة الايرانية في سياق هذه المعارك جزيرة مجنون الغنية بحقول البترول غير المستغلة .

بمعرض العراق في هذه الحقبة لضغط مكثف لم يستطع الصمود أمامه الا بالمساعدات العسكرية الضخمة من الاتحاد السوفيتي وفرنسا ومصر . واعتبرت الصحافة العالمية في عام ١٩٨٣ تغيير الحكم في العراق يتفق مع المصالح الايرانية وامراً محتمل الحدوث ، بيد أن الهجوم كان مازال بعيداً عن هذا الهدف على الرغم من النجاح الجزئي الذي أحرزته القوات الايرانية .

٣/٤ حرب الاستنزاف وحرب جديدة

للمواقع الثابتة مارس ١٩٨٤

يعتبر التوتر في الخليج وما يسمى « بحرب الناقلات » علامة بارزة لبداية هذه الفترة فقد كان السلاح الجوي العراقي قد هاجم ٥٠ ناقلة وسفن أخرى في الخليج في السنوات الثلاث الأولى من الحرب وكان العراق يهدف من وراء ذلك الى تدمير محطة تصدير البترول الايرانية في « جزيرة خرج » وفي ١٢ أغسطس عام ١٩٨٢ أعلن العراق أن الجزء الشمالي من الخليج يعتبر منطقة عسكرية محظورة . وفي الفترة من ١٨ الى ٢٥ أغسطس قصفت الطائرات العراقية المقاتلة أجزاء من هذا الميناء البترولي ، ولكن لم يؤثر على تصدير البترول الإيراني إلا بدرجة ضئيلة . وفي ٢٧ مارس عام ١٩٨٤ استخدم العراق الامدادات العسكرية الفرنسية ودمر أجزاء هامة من الميناء البترولي الأمر الذي كان له اثر بالغ في هذه المرة على تصدير البترول الإيراني ، وهددت إيران هذه المرة باغلاق مضيق هرمز وكان يمكن أن يشل ذلك حركة الملاحة في الخليج ، ويجمد الجزء الأكبر من صادرات البترول لدول الخليج وكان الاسطول الإيراني الذي كان متفوقا على الاسطول العربي منذ بداية الحرب بالإضافة الى ساحل الخليج الإيراني الطويل يشكلان تهديدا جادا على دول الخليج . وقد دفعتها الرغبة لضمان أمنها في ابداء استعدادها وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية للتفاوض (هيو ١٩٨٤ ، ١٢) .

وفي ٢٥ أبريل أصابت صواريخ عراقية إحدى الناقلات السعودية وكانت قد أبحرت من ميناء خرج الإيراني . وفي ٧ و ١٥ مايو دمرت أيضا ناقلتين أخريتين في هجوم جوي . وادى ذلك الى خلق موقف متوتر للغاية في المنطقة دفع الرأي العالمي الى إعادة تذكر هذه الحرب المنسية .

وخضع العراق لضغط دول الخليج المهددة ، والتي تساند العراق ماليا وأوقف حرب الناقلات للحيلولة دون حدوث تصعيد أكبر في الخليج . وفي ١١ يوليو عام ١٩٨٤ قبلت الدولتان المتحاربتان مبادرة من الأمم المتحدة . فقد أثرت حرب الناقلات على الأوبك وعلى تصدير البترول والإيراني . وارتفعت أسعار التامين في مايو ١٩٨٤ من ٧٥٪ الى ٧٠٪ (هيو ١٩٨٤ ، ١٣) . وادى الهدوء ، خفة حدة التوتر النسبي في الموقف في الخليج الى عدم تدخل الدول الكبرى في أحداث الحرب ، بيد أن ذلك كان يعني إطالة أمد الحرب البرية . ونظرا للخسائر الفادحة تم استدال (التاكيت) الإيراني — أي هاستبدلت إيران بالهجوم الكبير عن طريق الحوايط البشرية — حرب استنزاف طويلة .

وعلى أساس ما سبق ذكره من عوامل أساسية لا يبدو أن هناك نهاية
تربية للحرب . فمقدار العوامل الخارجية إلى الحفاظ على التوازن في كل
من إيران والعراق وثبتت عجز كلتا الدولتين عن تحقيق نجاح حاسم ولذلك
ليست هناك نهاية لحرب الاستنزاف والحرب المواقع الثابتة .

وأثرت العوامل الإقليمية والدولية على الطريق المسدود بقدر تأثيره
بانهيكل انداخية للدولتين المتورطتين في الحرب والتناقضات الثقافية والدينية
والقومية بينهما .

وسيتناول الجزء الثاني من الكتاب تحليلًا لهذه العوامل وأثارها على
مسار ونتائج الحرب . ويعتمد الوصف العسكري للمسار العسكري للحرب
في هذا الكتاب أساسًا على مقتل ديبلي هير في ميريب ريبورت عدد ١٢٥ ،
٢٦ سبتمبر عام ١٩٨٤ .

٥ - مدخلات الحرب وتأثيراتها

تحولت المواجهة العسكرية بشكل متزايد إلى وضع الجمهور بين كلا
الطرفين وأصبح البحث عن الحل السياسي غير وارد بالرغم من حرب
الاستنزاف . وفي خريف سنة ١٩٨٣ أخذت الحرب الإيرانية بعدًا جديدًا ، فمن
ناحية تزايد خطر امتداد ويلات الحرب إلى الدول الخليجية مع احتمال تورط
القوى العظمى . ومن ناحية أخرى تحول الصراع وبشكل متزايد إلى المسنون
الاقتصادي . وولد ذلك في البداية انطباعًا بأن طرفي الحرب ربما تمكنا من الخروج
من الطريق العسكري المسدود للحرب واتجها إلى حل سياسي .

وأوضحت الحرب الاقتصادية التي وصلت إلى ذروتها بالتدمير الجزئي لبناء
تصدير النفط الإيراني ، مدى ما أصاب الدولتين وأظهرت في نفس الوقت بجلاء
صعوبة تدمير القدرات والطاقت الاقتصادية لكلا البلدين بشكل كامل كما
بينت قدرة التكيف الضخمة للهيكل الاقتصادية مع الظروف المتغيرة ، وسنحاول
في هذا الفصل تحليل المدخلات السياسية والاقتصادية للحرب في كلا البلدين وكذا
تأثيرات هذا الصراع على المستوى الإقليمي وعلى سياسة القوتين الأعظميين

٥ - ١ : تأثيرها على ايران :

على الرغم من أن حجم الحرب قد فاجأ ايران وأصابها داخلية وخارجية خائفة نجد ان الحكام الايرانيين وصفوا الحرب لأية الله الخميني على انها « هبة من السماء » . ورحب قطاع من المؤسسة الايرانية الحاكمة بهذه الحرب على المدى الطويل انطلاقا من مصالح واضحة وجليّة وأطماع اقليمية وهيأت هذه الحرب لحكام ايران تحقيق الاهداف الداخلية التالية :

— تعبئة الجماهير ضد اى عدو خارجى لتأمين القاعدة غير المستقرة للجمهورية الايرانية الجديدة من وجهة نظر النظام .

— القضاء على المعارضة ، خاصة من التيارات اليسارية والوطنية وكذلك أيضا ما يصنفه الحكام المتشددون بالاتجاهات الاسلامية الليبرالية التى يمثلها بنى صدر .

— أخفت الحرب الازمة الاقتصادية الطاحنة وأصبحت غير مسئولة عن عدم الوفاء بأغلب الوعود التى قطعتها الثورة على نفسها وعلى الرغم من الخراب والخسائر البشرية وتدمير المنشآت الاقتصادية رسخ وضع الحكام الايرانيين وتوطدت الدولة ومؤسساتها .

ويمكن بيان المؤثرات السياسية على جهاز الدولة كما يلى :

(١) قوى مركز الجيش الذى كان ضعيفا قبل اندلاع الحرب وغير منظم فى بداية الحرب ونقصه بعض التجهيزات وكان لا ينعم بثقة الحكام الجدد بوصفه حاملا لايدولوجيات ما قبل الثورة القديمة واعيد تنظيمه ورد اعتباره سياسيا وصار من اهم عوامل الحكم وكان الجيش قد تعرض قبل الحرب لبعض حملات التطهير وأصبح الخميني يطلق عليه الآن جيش الاسلام وجيش امام الزمان (اى المهدي المنتظر المخلص للشيعه) . . (انظر رسالة الخميني فى ٤/٣/١٩٨١) .

(ب) حقق الحرس الثورى الذى يمثل إحدى الجماعات الموالية ايدولوجيا لنظام الحكم ، نفوذا واسعا ابان الحرب فمن ناحية زاد عدد افراده الى ما يزيد عن مائه ألف وازدادت قوته بانضمام مئات الالاف من المقاتلين المتطوعين . ومن ناحية أخرى استغل الحرس الثورى الحرب ودوره فيها لتحسين تسليحه بأسلحة خفيفة وثقيلة (صحيفة جمهورى اسلامى فى ١٢/١١/١٩٨٠) : فضلا عن ذلك حظى الحرس الثورى بأهمية سياسية متعاظمة فى الصراعات الداخلية على الحكم مما أدى الى تعيين وزير مسئول عن حرس الثورى الى جانب وزير الدفاع وأكد الحرس الثورى فى هذه الحرب أنه يمكن أن يكون بديلا

عن الجيش أو على الأقل هو تنظيم مواز له القوة والأهمية . وفي الوقت الذي كان الجيش النظامي يعمل فيه على الجبهة كان الحرس الثوري يتولى الاشراف على المواقع الاستراتيجية في البلاد وفي مقدمتها أهم المدن وأمن لنفسه بذلك قاعدة نحو أي تقدم على الحكم .

(ج) ترشيح بيروقراطية الدولة بعد القضاء على اتجاهات معينة وتوحيد الاساسة القياديين بعد انشاء جهاز قمعي منظم . وفي المجال الاقتصادي عملت القيادة الدينية على وقف أي خطوات أخرى للتأميم وكان من الممكن أن تؤدي إلى تنامي السلطة الاقتصادية للدولة . ونظرا لان الحرب تدعم الاتجاهات المركزية نجد أن احتمالات حدوث مثل هذا التطور مازالت قائمة .

وأثرت العوامل التالية بشكل سلبي على الموقف في ايران :

- العزلة الدولية بسبب خطف الرهائن وما أدى ذلك من عقوبات .
 - .. الصراع مع دول الخليج مما أدى إلى دعمها للعراق .
 - وجود مشاكل داخل القيادة المستقلة للقطاع الصناعي .
 - وجود نقص في التكنولوجيا المتقدمة وفي نوعيات الاسلحة المتخصصة وفي المقابل أنادت العوامل التالية الموقف الإيراني :
 - ترامي مساحة البلاد وما يرتبط بذلك من ترامي مساحة العمق ومرونتها استراتيجية وعسكريا .
 - زيادة عدد سكان ايران ثلاث مرات على سكان العراق مما يسج ل طهران بتعويض الضعف الفئى بالتفوق البشرى .
 - القوة الايديولوجية لدى ايران أنادت في القيام بعملية تعبئة واسعة أثناء الحرب ، مما أتاح قاعدة سياسية آمنة للحكام .
 - الاعتماد المحدود غير المطلق على البترول بالمقارنة مع العراق ، مما ترتب عليه تحدد في الحرب الاقتصادية وتحدد استيراد المواد الغذائية ومساهمة جزء كبير من رأس المال الخاص في الصناعة .
- أما الصعوبات الأخرى مثل المعدل العالي للبطالة وتدفق اللاجئين فقد حاولت ايران الحد منها عن طريق التعبئة السياسية والايديولوجية والدعوية للحرب .

٢/٥ : تأثيرها على العراق

أخذت القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية للعراق في الانخفاض عند بدء الحرب ومع استمرارها ولكن العراق استفاد من الأمور التالية : —
— وجود احتياطي كبير نسبيا من العملات الصعبة مع وجود جيش جيد التسليح ولكن كلا هذين الأمرين تآكلا مع استمرار الحرب .

توافق الظروف السياسية الدولية والاتلهمية التي وفرت للعراق مساندة على كل الاصعدة عوضت نسبيا ضعف البلاد الناشئ عن عوامل داخلية .
— مع استمرار انحراب استفاد العراق من عدم قبول الشعب العراقي للرؤية الايديولوجية الايرانية . فعلى الرغم من أن العراق هو الذي بدأ الحرب نجد أنه استطاع استغلال رفض قيام نظام حكم إسلامي وتحويله إلى سلاح دفاعي للوقوف أمام القوات الايرانية الغازية .

— لم يساند العمق العراقي ، المتمثل في الاردن والسعودية والكويت ، العراق ماديا فقط بل وضعت هذه الدول ما لديها من إمكانيات مالية ومادية تحت تصرف بغداد وأعطت ذلك حق استخدام القواعد العسكرية الاردنية وقد استفادت الطائرات العراقية من ذلك عند تعرضها لأي مازق .

— وجود مصادر متنوعة للتسلح .

أما العوامل التي أضعفت موقف العراق فلقد كانت كما يلي : —

— الوضع الجغرافي ، فبغداد العاصمة وأغلب المدن وأهم المناطق الصناعية وحقول البترول تقع على نهر دجلة على مقربة نسبياً من الحدود الايرانية ومن السهل من الناحية العسكرية الاستيلاء على بعض المنشآت المركزية من هذا الناحية الحيوية العراقية .

— اعتماد شبه كامل على عائدات البترول وتشغل صادرات البترول العراقي أكثر من ٩٠٪ من إجمالي حجم الصادرات .

— وجود نظام اقتصادي وسياسي منظم مركزي ، يعتمد على وجهة نظرية عسكرية وسياسية متطرفة ، وتعتمد كفاءته على استقرار السلطة الحاكمة . ومن الممكن أن يؤدي عدم استقرار قيادة الدولة إلى هزات متواصلة ولذا نجد أن المؤسسات الاقتصادية والسياسية لا تستطيع الاستقلال عن بيروقراطية الدولة .

— تعتبر أغلب قطاعات الجبهة مناطق حساسة بسبب الجماعات الكردية والشيعة الساخطة هناك .

-- الاعتماد على قروض اجنبية والتمويل الاجنبى للحرب . وخاصة المساعدات المالية التى تقدمها الدول الخليجية (والتى وصلت فى عام ١٩٨٤ الى ما يقرب من مليار دولار شهريا انظر سلوجيت/ستورث . ٢٧ ف) وقد انكشفت مواطن ضعف العراق التى غطى عليها بنجاح خططه العسكرية على مدار الحرب نفى عامى ١٩٨٤/٨٣ كان العراق على شفا الانهيار الا ان العوامل الخارجيه فقط هى التى ساعدت على تهدئة الوضع الحرج وامتد العراق بالوسائل التى تمكنه من خوض حرب طويلة المدى .

وتظهر النظرة للحرب بدءا من الغزو العراقى لايران ثم الغزو الايرانى للضاد ثم حرب المواقع الثابتة ، تظهر بجلاء مدى تأثير بعض العوامل الاقليمية والدولية وبخاصة على الصعيد الاقتصادى - لتسيير الحرب من الناحية التنظيمية قد اثر ذلك على منع الانهيار الاقتصادى لاي من طرفى الحرب ، هذا الانهيار الذى يعنى انتهاء الحرب .

فى الأشهر الأولى ، التى تلت اندلاع الحرب ، أصيبت المراكز الحساسة لدى كلا البلدين ، نفى ايران تعطلت أهم معامل تكرير البترول وتعطلت عمليات نقل البترول العراقى عبر الخليج بسبب سيطرة الاسطول البحرى الايرانى . وعانى البلدان من الدمار المؤثر وان كان نصيب ايران اقل من العراق وعمت السياسة الاقتصادية فى كلا البلدين على حسم هذا الأمر بالاضافة الى الاسباب التى - بقى ذكرها ، وأملت ايران على شعبها - قبل الحرب سياسة تقشف مدعومة بالحجج الايديولوجية . بينما كان العراق ييث لشعارات الداعية لزيادة رخاء والاستهلاك (ستافور عام ١٩٨٥ ، ٤٦ - ٣٨) .

وقتل التحالفات الاقليمية من خطر الانهيار الاقتصادى ، فقد استطاع العراق استيراد سلعة عبر الأردن والكويت وتلقى معونات مالية ضخمة من الدول الخليجية . واعتمدت ايران على معونات ليبيا وسوريا التى استخدمتها سوريا كوسيلة ضغط لتجهيد الدول الخليجية .

وأبتداء من خريف سنة ١٩٨٣ تمكن العراق على الأقل نظريا من تجديد صادرات البترول الايرانية . ولكن خطر التصعيد وضع حدا لهذه الامكانية .

وكان بحوزة كل من ايران والعراق الوسائل الكافية لمواصلة الحرب على الرغم من مصاعبها الاقتصادية الضخمة وخطط العراق لزيادة صادراته النفطية عبر تركيا التى بلغت فى عام ١٩٨٦ مليون ونصف مليون برميل يوميا . وكان العراق يريد ابتداء من نهاية سنة ١٩٨٦ تصدير ثلاثة ملايين برميل يوميا عبر تركيا وانس هزيمة للعودة الى مستوى تصدير ما قبل الحرب .

ومن المتوقع أن تساعد هذه الخطط العراق على الخروج من ضائقته المادية في الخارج وتخفيف نفوذ الدول الخليجية .
وعلى الجانب الآخر أعدت ايران نفسها لشن حرب استنزاف طويلة المدى . واستكملت من خطوط السكك الحديدية عبر الاتحاد السوفيتي وكذا طرق المواصلات مع تركيا . وحظيت الموانئ الجديدة في الجنوب بأهمية كبرى ، حيث استخدمت كموانئ نفطية آمنة نسبيا من الهجمات العراقية . واضطر العراق للتخلي عن موانئه المطلة على الخليج وخط انابيب بترولته الذي يمر عبر سوريا كما اضطرت ايران للتخلي عن عمليات النقل التجارية في القطاع الشمالي بالخليج (سنافر ٢٥٠ ف) .

٢/٥ المؤثرات على نول الخليج والمنطقة

بما أن الحرب بين العراق وايران كانت نتيجة للصراعات الاقليمية ، لذا أثرت هذه الحرب على الصراعات الاقليمية الأخرى حيث كانت دول الخليج مهددة بشكل مباشر بامتداد الحرب إليها .

وصارت الحرب أهم عامل في السياسة والتحالفات الاقليمية لطرفي الصراع ، وأصبح العراق يعتمد على مساعدة دول الخليج ولذا اضطر لاختفاء طابع محاظ ومعتدل على سياسته الاقليمية . ومن ناحية أخرى أدت الحرب الى عزلة ايران في المنطقة وزيادة التوتر مع الدول الخليجية . وأصبحت العلاقات مع الدول العربية محدودة باستثناء التحالف مع سوريا وليبيا ، وإلى حد ما مع اليمن الجنوبي والجزائر .

ويكمن انشاء مجلس التعاون الخليجي من الكويت والسعودية والبحرين والامارات العربية المتحدة وقطر وعمان في فبراير سنة ١٩٨١ بمثابة رد فعل مباشر على حرب الخليج وكانت أهدافه اقتصادية في البداية لتوحيد مواقف أعضائه داخل الأوبك . ولكنه أخذ يهتم بالمصالح العسكرية والأمنية مع تنامي الوضع في فبراير سنة ١٩٨٣ وفي عامي ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ نوقشت الخطط الأمنية للخليج وكذا تسليح الدول الخليجية واجراء مناورات مشتركة (أنظر أيوى / خيلي ١٩٨٣ ص ١٦٢ - ١٦٦ أنظر باسيين ، سنة ١٩٨١ ص ٨٤) وكانت سريطليا قد فكرت في عام ١٩٧١/٧٠ ، بعد حصول هذه الدول على استقلالها في انشاء مجلس مشترك لملء الفراغ الذي حدث بعد خروجها (أنظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٨) ولكن حالت الخلافات بين ايران والعراق وخوف الدول الخليجية من اطماع الهيمنة لهذين البلدين دون تنفيذ هذه الفكرة . انشاء هذا المجلس في عام ١٩٨١ بدون العراق وايران تحت ضغط الحرب المتصاعدة .

ووقف مجلس التعاون الخليجي الى جانب العراق بسبب الدوامي التي أدت الى قيامه والواردة بالفصلين ٣ ، ٤ . وشجع طول أمد الحرب وعدم وجود أمل في حلها وأخطار التصعيد في الخليج ، المسامى المبذولة لانهاء الصراع ، أو لحصره على الأقل في العمليات البرية وانفتح المجلس الخليجي بقدر معين على - ايران ، فلم يكن الخطر على الدول الخليجية يأت فقط من جانب ايران ففضلا عن حوادث الاغتيال والتدمير التي كانت تقوم فيها الجماعات الموالية لايران في دول الخليج حدثت استنزافات مشابهة من جانب العراق . فسف أى تقارب بين دول الخليج وايران ولذا هاجم العراق وايران.

ناقلات البترول التابعة لدول الخليج في حرب الناقلات (انظر هيرو سة ١٩٨٤ ص ١٣) .

ويعد تحييد مجلس التعاون الخليجي وتطبيع العلاقات بين الدول الخليجية وايران انتكاسة وضربة قاصمة للعراق . ولم تصدر في هذا الصدد بيانات ضمن ايرانية بعدم التدخل في دول الخليج . ويلاحظ في ايران وجود اتجاهات لتطبيع العلاقات عن طريق الوساطة السورية ، ولكن هدد هذا الاتجاه الخوف من عودة ايران لوقفها التقليدي كحامية في الخليج .

وكان أمن دول الخليج موضع نقاش في الدول الكبرى — وخاصة في أمريكا وعلى الرغم من الاختلافات في الرأي داخل مجلس التعاون الخليجي نجد أنه يرفض أى تواجد مباشر للولايات المتحدة حيث أن ذلك لن يؤدي قط الى تارجح الصراعات بين الدول الكبرى بل سيؤدي أيضا الى تزايد الخطر الذي تتعرض له الأنظمة الحاكمة هناك من جانب القوى الثورية بسبب زيادة الروح المعادية لأمريكا في المنطقة . ولذا سعى مجلس التعاون الخليجي الى تأيين الخليج عن طريق النشاطات الدبلوماسية (انظر ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ١١٣ وانظر داووشه سنة ١٩٨١ ص ٥٩١) ويمكن تصدير الآثار والنتائج العامة لحرب الخليج على الشرق الاوسط والسياسة العربية كما يلي : —

أ — صعود نجم سوريا في العالم العربي

تستهدف سوريا من وراء قيامها بدور الوساطة بين ايران ودول الخليج عزل العراق وضمان أمن دول الخليج . وادت الحرب الى القضاء على المنافسة بين العراق وسوريا وخاصة في لبنان حيث تسعى سوريا الى تدعيم منوذها هناك بمساعدة دول الخليج . وقد تقلص دور العراق في لبنان بشكل متزايد بسبب الاحداث العسكرية (انظر داووشه سنة ١٩٨١ ص ٦١ — ٦٥) .

ب — عودة مصر الى السياسة العربية

فرض العراق ، الذي استضاف القمة العربية المعادية لمصر في سنة ١٩٧٨ في بغداد ، مع دول الخليج عودة مصر الى منظمة الدول الاسلامية والجامعة العربية . ويهدف العراق من وراء ذلك تقوية المهود الفكري للعالم العربي . وقد تم على الرغم من معارضة سوريا وليبيا — رد اعتبار مصر جزئيا وتحسنت علاقات مصر مع الجزائر وتونس حتى أن أى تعاون عسكري يمكن أن يؤدي الى اعلان قيام حلف جديد ، ولعل من الدلائل والشواهد الاخرى على تطبيع دور مصر داخل العالم العربي دعم مصر للعراق وصفقات الاسلحة المصرية لدول الخليج وخاصة الى عمان والتعاون المكثف مع منظمة التحرير .

ج - الدور الجديد لتركيا في العالم العربي

تحولت تركيا الى بلد مرور (ترانزيت) هام لطرفي الحرب وصارت ثاني أهم شريك تجارى لايران بعد اليابان . وفي عام سنة ١٩٨٤ اضطر العراق الى طلب معونة الجيش التركى لقمع المعارضة الكردية في شمال العراق وأدت الحرب والمصالح الاقتصادية لتركيا والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الى ايجاد تقارب معين مع العالم العربى بعد عزلة دامت اعواما ولم يكن هذا التقارب فقط مع السعودية ودول أخرى معتدلة بل مع ليبيا أيضا . ومن غير المستبعد ان يكون هناك دور عسكري تركى في حالة تفاقم الحرب مرة أخرى . وكانت الحرب وما ترتب عليها هى انقسات وتشرذم في العالم العربى احدى مقدمات الغزو الاسرائيلى للبنان في سنة ١٩٨٢ والتي بدونها الممكن هذا الغزو ليحدث ونتج عن ذلك ضعف منظمة التحرير الذى كان بدوره نتيجة لنقص التعاون بين الدول العربية .-

٥/ الدول الكبرى والحرب العراقية — الإيرانية

تعهدت الدولتان العظميان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية منذ بدء الحرب باتخاذ موقف الحياد رسميا وان كان ذلك يخالف موقفهما وأخذت الدولتان العظميان تراقبان الموقف عن كثب واستغلتا الحرب لكسب النفوذ لدى الدولتين المتحاربتين ، بل لدى المنطقة كلها ، وعدا البيانات المتعارضة لم يمارس البلدان ضغطا كافيا للتوصل الى حل سوى ضمانها لأمن الخليج وسعيهما لمنع توسع رقعة الحرب على المستوى الاقليمي .

١ — الاتحاد السوفيتي

اندلعت الحرب في وقت غير مناسب للاستراتيجية الاقليمية السوفيتية التي كانت تستهدف التوصل الى مصالحة بين الحليفتين سوريا والعراق لاجهاض الخطط الامريكية في الشرق الاوسط . وعلى الرغم من الاختلافات الايديولوجية والازمة الافغانية حاول الاتحاد السوفيتي استغلال قضية الرهائن لبسط نفوذه في ايران (يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩١ — ٩٣) .

واتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا محايدا في المواقف السوفيتية الاولى من الحرب ، وكلن يرى ان هذا الحرب لصالح الامبريالية (انظر بريجنيف لوكالة نوفوستي في ١٦/١٢/١٩٨٠) . ولكن الاتحاد السوفيتي وقف في الواقع الى جانب ايران . وخفضت صفقات الاسلحة للعراق الا ان ايران رفضت العروض السوفيتية (انظر يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩٧ — ٩٩) (وانظر هيروس سنة ١٩٨٤ ص ٧) . ولم تلق هذه السياسة المحايدة قبولا كبيرا لا لدى ايران ولا لدى العراق .

وكان العراق يتوقع ان تفي موسكو بالتزاماتها المنصوص عليها في معاهدة الصداقة السوفيتية العراقية في سنة ١٩٧٢ . وأدانت ايران التي تعرضت لهجمات الجيش العراقي المزود بأسلحة سوفيتية الموقف المحايد ذا الوجهين .

والى جانب البيانات السوفيتية العديدة المؤكدة على الحياد والداعية للانتهاء الفوري للحرب أعلن بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي في ديسمبر سنة ١٩٨٠ مبادرة سلام للشرق الاوسط احتلت حرب الخليج فيها مكانة خاصة واقترح بريجنيف على امريكا وعلم ، باق الدول الغربية والصين واليابان وكل الدول المعينة الالتزامات التالية :

— عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية في الخليج والجزر المجاورة وخطر استخدام اسلحة نووية في المنطقة .

-- عدم التهديد بالعنف أو استخدامه وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المعنية .

— احترام عدم الانحياز .

— الاعتراف بحق الدول في استغلال مصادر الطبيعة .

— عدم اعاقة التجارة أو الطرق البحرية (انظر هوبل سنة ١٩٨٢ ص ٤٨ وانظر يلين سنة ١٩٨١ ص ٨٤ ف) .

وفشلت جهود الاتحاد السوفيتي للسيطرة على ايران وادت الاستنزافات ضد الحزب الشيوعي الايراني والنشاطات التجسسية والتخريبية للمخابرات السوفيتية الى احياء توريد الاسلحة للعراق (انظر يودفات سنة ١٩٨٤ ص ١٤٢ — ١٤٤) . ولعل من بين الاسباب الهامة التي دعت الى ذلك تزايد العلاقات التجارية العراقية مع دول غربية وفي مجال قطاع السلاح — وفي مقدمة هذه الدول فرنسا . (حتى عام ١٩٧٢ — كان العراق مجهزا بـ ٩٦٪ من قتاده الحربى بعتاد سوفيتي ، ووصلت هذه النسبة الى الثلثين بعد اربعة أعوام من بدء الحرب) ، (يانسن سنة ١٩٨٤ ص ١٠١ ، انظر كامبل سنة ١٩٨١ ص ١٣١) وعمل الهجوم الايراني المعاكس الناجح وشعار تصدير الثورة والبدل الاسلحي لنظام الحكم العراقي على تغيير الموقف السوفيتي من العراق حيث قوبلت السياسة الايرانية في هذا الصدد بانتقاد حاد من جانب موسكو .

ولم يحقق الاتحاد السوفيتي نفسه الاستفادة من سياسته حتى لو كان صحيحا تفسير بعض وسائل الاعلام الغربية لاطلاق سراح الشيوعيين العراقيين الموالين لموسكو على أنه ثمن لصفقات السلاح (صحيفة ديلي تلجراف في ١٧/١١/١٩٨٣ ، ٢٧/١١/١٩٨٣) وكل الذي حدث هو زيادة اعتقاد العراق على دول الخليج التي كانت تعارض عودة العراق الى معاهدة سنة ١٩٧٢ مع موسكو .

غير أن الحرب فتحت الطريق أمام السوفيت للوصول الى الدول الخليجية والتي لم يكن لهم دور فيها . ونعل ارسال اسلحة سوفيتية ومسئارين عسكريين سوفيت الى الكويت احدى نتائج الحرب بل أخذت دول الخليج على الرغم من التحفظ التاريخي ازاء الاتحاد السوفيتي تدعمو الى التعاون معه من اجل ضمان الامن بشكل عملي وايجاد توازن بين الدول الكبرى . وقد دفع التزايد غير المتوقع في الاتصالات السوفيتية مع الدول الخليجية عبر الكويت (يودفات ١٩٨٣ ، ص ١٣٤ ف) ببعض المراتبين الغربيين الى الافتراض بأن الاتحاد السوفيتي يمكنه القيام بدور رجل الشرطة الاقليمي (انظر كامبل سنة ١٩٨١ ص ١١٥) . وترى بعض التحليلات

الغربية لتساعد الدور السوفيتي في الشرق الاوسط ان موسكو تتمتع بنفسه
قوى في المناطق الهامة من الشرق الاوسط كاثيوبيا واليمن الجنوبي وأفغانستان .
أما موقفه في منطقة القلب بالشرق الاوسط والخليج فغير مستقر كامبل سنة
١٩٨١ (ص ١١٨ — ١٢٦) .

ولعل من بين الدروس المستفادة من الحرب العراقية الايرانية ان
الصراعات المحلية في منطقة الخليج لن تفتح الباب تلقائيا امام الاتحاد السوفيتي
او أي دولة أخرى — للقيام من تلقاء نفسها بدور رجل الشرطة في المنطقة
(انظر كامبل سنة ١٩٨١ ص ١٢٢) .

(ب) الولايات المتحدة الامريكية

على الرغم من أن العلاقات ائدبلوماسية كانت مقطوعة مع أمريكا الا أنه
حدث تقارب في الفترة من سنة ١٩٧٥ الى سنة ١٩٨٠ بين العراق والدول
الغربية ودول الخليج المتحالفة مع الولايات المتحدة الامريكية (انظر مجلة
وورلد ماركست ريفيو ، رقم ٨ عدد أغسطس سنة ١٩٧٦) والنظرية والدعاية
الايرانيات تصران على أن العراق بدأ الحرب بتكليف من الولايات المتحدة
الامريكية وما لا شك فيه أن وجود نشاط موجه ضد إيران كان أمرا لا يهم
أمريكا (انظر هيرو عام ١٩٨٤ ص ٧) لان العلاقات الايرانية الامريكية كانت
عند بداية الحرب أكثر من سيئة بسبب قضية الرهائن . وكان العراق يضع
نصب عينيه على وجه الخصوص مصالحه ومصالح دول الخليج .

أما ضعف إيران مع المصالح الامريكية فهي قضية أخرى حقيقي ان
الولايات المتحدة كانت تسعى الى تغيير النظام الايراني الحاكم ولكنها كانت
تتجنب في نفس الوقت عدم الاستقرار الذي كان من الممكن أن يؤدي الى انهيار
او تقسيم إيران (انظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٧ ، وانظر رايت سنة ١٩٨٣
ص ١٨٥ — ١٨٧) حيث كانت أمريكا لا تضع نصب عينها فقط خلافها مع
الاتحاد السوفيتي ، فالمعاهدة السوفيتية الايرانية الموقعة في عام ١٩٢١ والتي
ألغتها إيران من جانب واحد كانت وما تزال سارية المفعول بالنسبة للاتحاد
السوفيتي وهي تسمح للاتحاد السوفيتي بوضع قوات سوفيتية على الاراضي
ايرانية في حالة تواجد قوات اجنبية في إيران .

وكان الموقف الرسمي « المحايد » لأمريكا في أكتوبر سنة ١٩٨٠ كما يلي :

نعتقد بأنه من الممكن ، بل من الواجب عدم حل هذا الصراع بالقوة
المسلحة بل بالوسائل العملية . ودعونا نلجأ الى مبدأ آخر ضروري لاتخاذ
قرار سلمى لحل هذا الصراع . انه مبدأ عدم التدخل في شئون الآخرين
(ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ٩١) .

واستغلت أمريكا حرج الموقف العراقي في الحرب لتطبيع علاقاتها معه فتكثفت العلاقات التجارية ثم استؤنفت العلاقات الدبلوماسية في سنة ١٩٨٥ ولعل الأهم من ذلك هو زيادة التعاون العراقي مع دول المنطقة الحليفة لأمريكا (مصر ودول الخليج) وموقف بغداد المعتدل في الصراع العربي الإسرائيلي . ويمكن اعتبار صفقات الأسلحة من جانب بعض حلفاء أمريكا لايران (مثل إسرائيل وباكستان وكوريا الجنوبية ... الخ) على أنه تعبير عن مساع أمريكية لتأمين الكيان الإيراني . وعموما كانت أمريكا تتخذ في حرب الخليج - وخاصة الحرب الهجومية الإيرانية - تتخذ موقفا واضحا معاديا لايران .

ففي عهد كارتر قدمت أمريكا للسعودية طائرات الأواكس المتقدمة وإننى كنت تقوم بإمداد العراق بالمعلومات وفي عام ١٩٨٤/٨٣ شكلت الولايات المتحدة قمة التدخل السريع أى غزو الخليج (ستارك / ونجر سنة ١٩٨٤ س ٤٤ - ٤٦) وعبر وزير الخارجية الأمريكي عن الموقف المحايد لبلاده بقوله : « ان الحياد على أية حال لا يعنى الا نكتريث بالنتائج . ولدينا أصدقاء ومصالح تتعرض للخطر نتيجة لاستمرار الاعتداءات . ونحن ملتزمون بالدفاع عن مصالحنا الحيوية في المنطقة . وهذه المصالح ومصالح العالم تحترمها - السيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل الدول في منطقة الخليج . »

وتعد حرب الناقلات واستهداف الإيراني باغلاق مضيق هرمز وماتلا ذلك من تهديد أمريكي بالتدخل العسكى شروطا موضوعية لمثل هذا التدخل . ولكن كان هناك شك من الوجة العسكرية في مدى فعالية مثل هذه العمليات خاصة ان فشل القوات الأمريكية في لبنان وفشل الوحدات الأمريكية التي أرسلت الى ايران لتحرير الرهائن كلفت له نتائج معنوية ضخمة وربما كان هذا الفشل مثلا تحذيريا غير أن القيام بعمل عسكى ضد ايران أصبح أمرا غير محدود . وكان موقف مجلس التعاون الخليجي الذى ادان مثل هذه الخطوة بوصفها تصعيدا مباشرا للحرب في المنطقة عاملا حاسما (انظر ستارك / ونجر سنة ١٩٨٤ ص ٤٧ ف) .

واستطاعت الولايات المتحدة ، شأنها شأن الاتحاد السوفيتى تدعيم موقفها في الشرق الأوسط أثناء الحرب (رايت سنة ١٩٨٢ ص ١٨٨) ، لقد جرت العادة على أن تضمن الصراعات الإقليمية - للدول الكبرى مناطق للنفوذ ، غير أن سياسة الدول الكبرى في هذه المنطقة المعقدة أصبحت عاملا فقد أهميته مع مرور الوقت : فالدول الكبرى لم تعد ترغب في التورط في الصراعات الإقليمية ولا هى تستطيع تحديد مسارها الا بقدر ضئيل .

٥/٥ النتائج بالنسبة للعلاقات مع دول أخرى

اتخذت أوروبا الغربية واليابان موقفا محايدا منذ اندلاع الحرب وأعربت عن رغبتها في نهاية سريعة للحرب . وكانت هذه الدول تكسب من هذه الطفرة التي تحققت من علاقاتها التجارية مع طرفى الحرب واتخذت بقية دول غرب أوروبا باستثناء فرنسا التي كانت لها علاقة خاصة بالعراق بفضل صفقات الأسلحة موقفا محايدا . وتكثفت علاقات إيران التجارية مع بريطانيا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية وبعد المشاركة الجزئية فى العقوبات التي فرضتها أمريكا أثناء قضية الرهائن وللإبقاء على السوق الإيرانية مفتوحة سعت فرنسا لتطبيع علاقاتها مع إيران (انظر صفح ٣ فى رقم ١٢٠ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، ٢٨) . وكانت تجارة الأسلحة غير الرسمية على جانب كبير من الأهمية حيث كانت إيران والعراق تنفق أكثر من ثلث ميزانيتهما العامة على التسليح (انظر صفح ١/٣ فى رقم ١٢٨ سبتمبر سنة ١٩٨٥ ص ٣ - ٥) ودخلت عدة دول أوربية بشكل مكثف فى هذا المجال حتى ولو تعارض ذلك مع القانون فصدرت ألمانيا الاتحادية أسلحة الى العراق وأبرمت فى نفس الوقت صفقات غير قانونية مع إيران واستغلت تورطها المتزايد لاستكمال التعاون الألماني المصري فى مجال التسليح (انظر أوراق ١/٣ فى ١٢٠ ص ٨١ ف) وقامت النمسا بتصدير مدعية ثقيلة من نوع الهاوتزر عبر الأردن بشكل غير رسمى (الكتاب السنوى سيبرى سنة ١٩٨٤) .

وتزايد اعتماد كلا البلدين المتحاربين على غربى أوروبا واليابان ، فقد قاموا بدور هام فى إعادة بناء الانظمة الاقتصادية التي حاق بها التدمير . وهكذا اتاحت الحرب فرصة لقاعدة من الارتباطات الجديدة فى زمن السلم واستفادت دول أخرى مثل البرازيل . وكوريا الشمالية والصين بشكل مباشر أو غير مباشر من تجارة السلاح (انظر الجداول فى ملحق بآخر الكتاب) ولذلك كان الاعتماد الكلى لطرفى الحرب على أمريكا والاتحاد السوفيتى نسبيا ومحددا كما تورطت إسرائيل فى تجارة الأسلحة مع إيران (فرائكفورتر الجمائنة فى ١٧/٣/٨٧) وأخفض الموقف الاسرائيلى الشرعية على نفسه بموافقة الولايات المتحدة على ذلك (هيو سنة ١٩٨٤ ص ٧) وان كانت المصالح الاقليمية هى التى كان لها الدور الحاسم فى هذا الموضوع (فايتسمان ومثابته مع مجلة نيوزويك فى ١٥/١٢/١٩٨٠) . وهكذا شلت الحرب قوى وطاقات بلدين هامين من بلاد العالم الاسلامى والعربى لم يعودا — رغم كل الشعارات — قادرين على خوض حرب ضد إسرائيل . ولذا كانت مصلحة إسرائيل فى استمرار حرب الخليج وليس فى انهيار أى من البلدين ولا يمكن اعتبار السياسة الاسرائيلية بمثابة بيان تعاطف مع أحد طرفى الحرب اللذين يعتبران أساسا من أعداء إسرائيل ، بل يمكن اعتبارها جزءا من المفهوم الامنى الاسرائيلى الشامل طويل المدى . وفى اطار هذه الاستراتيجية يمكن تفسير صفقات الأسلحة وكذلك تصف المركز النووى العراقي .

٦ - الحرب والتركيب (الفسيفسائي) : - هل هي

قضية تفكك أو إعادة بناء ؟

بالنسبة للبعد العراقي والديني للحرب

هناك ارتباط وثيق بين الابعاد الثنائية والاقليمية والدولية للصراع وبين التركيب الفسيفسائي للمنطقة . وكلتا الدولتين تضمان جماعات عرقية دينية ومذهبية لم تندمج تماما في الدولة الحديثة . وتبدو المتناقضات الناتجة عن هذه الترخيبة المعقدة أكثر وضوحا في الصراعات الثنائية وتدويلها . وأصبحت بذلك أكثر تأثيرا . وتسربت المتناقضات الداخلية في كل من العراق وايران الى قيادة الحرب وتخطيطها حتى وان لم تتفق التقديرات الرسمية في أغلب الاحوال مع المساعييات . وسنحاول فيما يلي مناقشة هذه الاشكالية بشكل عام ، وفي النهاية سنستعرض ظواهر مطابقة في كل من العراق وايران .

٦ - ١ الاشكالية

يبدو ان الدول التي نشأت بعد الحرب العالمية الاولى في الشرق الاوسط قد حظيت في وعينا بأهمية كبرى أكبر مما تستحق في الواقع . فالدول الحديثة التي نشأت على غرار النموذج الغربي في الشرق لا تتفق مع التطور العرقي والمذاهب الدينية او القومية ، فالعراق وايران دول متعددة القوميات والمذاهب ولا يعتبر تركيبها السياسي متعادلا او ديمقراطيا وتضعف المتناقضات الاسفهرار الداخلي للبلاد ، كما أنها تمثل مشكلة اضافية في حالة أي صراع اقليمي مع الدول المجاورة (مثل مساندة الاكراد في دولة أخرى) كما يعتبر يعتبر الاسلام ظاهرة أساسية . لا تعترف ، بالحدود الحالية ويتناقض مع التكتيب الحالي للدول التي لم تستقر بعد .

لقد قام نظام الدولة الاسلامية ، الذي كانت تمثلها الامبراطورية العثمانية بأوسع معاني الكلمة ، على فكرة الامة الاسلامية . ونظمت العلاقات المتناقضة للاقلية الدينية والعرقية داخل هذه الامة من خلال النظام المالي وقدر كبير من الحكم الذاتي نسبيا للمناطق التابعة لها . ولكن التوجهات المركزية للامبراطورية العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والرغبة في اقامة دولة قومية على النموذج العربي أدت الى تفاقم مشكلتي الاقلية والقومية في المرحلة الأخيرة من الامبراطورية العثمانية (قارن شيفلر ص ٤٩ ف) .

ولم تؤسس الدول التي قامت بعد الحرب العالمية الاولى نظامها على فكرة الامة الاسلامية ، ولذا لم يكن هناك ذلك النظام القائم على أساس الوحدة الدينية او العرقية او المذهبية . وانقسمت الامة العربية الى أكثر من عشرين دولة حديثة

وانشطر الشعب الكردي الى خمس دول . وما يزال يقيم في انعرق وايران ، حيث يعيش العرب جنبا الى جنب مع الاكراد وعدد من الاقليات الاخرى . ويعيش البلوش في ايران وامنغانستان وايضا في باكستان كما يعيش الازربيجانيون والتركمانيون في ايران والاتحاد السوفيتي . ويستقر الارمن واقليات مسيحية اخرى في هاتين الدولتين .

وخلقت الدولة الحديثة انتماءات جديدة صناعية ، فالشعب الايراني او الامة الايرانية مصطلحات لا يصل عمرها الى ستين عاما . والواقع أن مشاعر الانتماء قد تمت لدى الشعوب بعد مرور ستين عاما على وجود هذه الدول ولكن لم تمنح السمات العرقية والدينية التقليدية .

ولم يكن النفوذ الثقافي القوي لاوربا يعنى اغترابا وتزويرا لوعي الشعوب الشرقية فقط بل أدت المفاهيم السياسية المرتبطة به (كالشعب والامة) الى نشر البلبلة وعدم الوضوح ، فالدستور العراقي ينص مثلا على أن الشعب العراقي يتكون من قوميتين (مادة ٣) وفي فقرة اخرى (مادة ٢) توجد الجملة التالية : - العراق جزء من الامة العربية . وهذا التعارض والتناقض ليس فقط مشكلة دلالة بل يثير البلبلة في الوعي السياسي (انظر فائلي سنة ١٩٨٤ ص ٢٨١ ، انظر ابراهيم عام ١٩٨٢ ص ٢٨٢ ف) .

ويتعارض المفهوم السياسي للقومية الكردية ، الرامية الى توحيد الشعب الكردي في دولة كردية قومية ، مع الانتماء للشعب العراقي . ويمكن تقييم قضية التوحيد من منظور اخر على أنها انفصال عن وخروج على الوطن العراقي والدولة العراقية ايضا .

وصف الملك فيصل الاول اول ملك هاشمي حكم العراق الحديث هذه الاشكالية في مذكرة كتبها سنة ١٩٣٢ بقوله : -

« لا يوجد في العراق - وهذا ما أقوله وقلبي مفحم بالاسى - عراقيين بل اعداد لا يمكن تخيلها من البشر مجردة من أية فكرة وطنية ومثيرة بالتقاليد الدينية والافكار السخيفة ولا يربط بينها أى رابطة مشتركة وتصنف الى الشر وتميل الى الفوضى ومستعدة دائما للثورة على أى حكومة ومهما كانت ونريد أن ننقش شعبا من هذه الاعداد يمكننا تدريبه وتعليمه وتهذيبه وفي حدود الظروف الراهنة يمكننا نخيل مدى ضخامة الجهود المطلوبة لانجاز ذلك » .

وفي الخمسين عاما التي تلت هذه الكلمات جرت محاولة لتحويل هذه الكلمات الى واقع : - توطين اجباري لقبائل البدو الرحل واضطهاد الشعب الكردي واجباره على الاندماج ومع ذلك تميزت هذه الحقبة بالاصلاحات واكثرت الصراعات أن هذه القضية لم تنته بعد . ولا يجب أن تسير في نفس هذا

الاتجاه وثمة مشكلة أخرى للدول الحديثة تكمن في مواجهتها مع اتجاهات أقلية وغير اقليمية قوية مثلما ظهر في القومية العربية والاسلام والقومية العربية التي تسعى الى توحيد كل العرب في دولة قومية واحدة لا تتفق مع الحدود القائمة حاليا بين الدول المختلفة كما تشكل الحركة الوطنية الكردية - وهدفها البعيد اقامة دولة كردستان الموحدة - تهديدا للكيانات غير المتجانسة في أربع دول .

وترفض الصحوة الاسلامية ، التي لا يجب النظر اليها على انها عودة الى الدن فقط بل ايضا ظاهرة سياسية قوية ، بسبب تناقضها الثقافي مع الغرب ترفض هذه الصحوة الحدود القائمة حاليا وتسعى للعودة الى اقامة امة اسلامية عالمية كبديل عن الدول الموجودة حاليا وعلى الرغم من تعارض الاتجاهات الاسلامية مع القوميات الكردية والعربية نجد أن كليهما يسير في نفس الاتجاه أي نحو عملية التفتت .

وثمة ظاهرة اشكالية تخص تركيبة الدول الحديثة وتتمثل في الاتجاهات المركزية وما يرتبط بذلك من القضاء على كافة اشكال والاستقلال او الادارة الذاتية ويمثل هذا التناقض بين الاستقلال الذاتي والمركزية واحدا من الجوانب الجوهرية للتناقض بين المركز والهامش فالقبائل والاقليات الوطنية والدينية والعشائر والوحدات الاخرى تدافع عن استقلالها الذاتي نسبيا ازاء الدولة الحديثة التي غالبا ما تكون ظاهرة غريبة تجثم على صدر المجتمع .

ومن خلال الصراعات على السلطة تدافع هذه الجماعات عن استقلالها الذاتي بحماس ضد محاولات الاختراق من جانب جهاز الدولة الذي يحاول استخدامهم كحكام أو متحالفين في صراعاتهم . وعلى الجانب الآخر تنهج الدولة استراتيجيات التفرقة الاجتماعية مثل التقسيم الواعي لجماعات الشعب الى روابط محلية ودينية أو مهنية مستقلة اداريا وتعتبر وحدة مجمعة لأعضائها المتفرقين وتقوم بتبسيط الادارة وتهيء وتسهل سياسة « فرق تسد » . كما تستخدم مناطق سكنية عرقية ودينية منفصلة لحماية المصالح الذاتية لسكانها . وتؤدي في نفس الوقت لتقليص الاتصالات اليومية بين مختلف جماعات الشعب الى أدنى حد وبحيث تجنب جهاز الادارة كثيرا من الصراعات التي يصعب السيطرة عليها (جرينسهيلد سنة ١٩٨٠) .

وكانت نتيجة ممارسة سياسة التفرقة « النحتية » والفوقية تركيبا فيسغائيا اجتماعيا مكونا من مجموعات محلية ودينية وعرقية (كون سنة ١٩٥١) وصفه البرتخوراضو (١٩٤٧ ص ٢٢) كتعايش مشكوك فيه بين عالم اجتماعية ثقافية مكتفية ذاتيا متلامسة ولكنها غير متداخلة (شيلفر سنة ١٩٨٥ ص ٤٩) .

٦ / ٢ العلاقة بين المركز والهامش في ايران

تحت مفهوم مركز لا نفهم فقط العاصمة كمنطقة التقاء للدينامية السياسية والثقافية والاقتصادية بل المنطقة التي يوجد بها اكبر مركز للشبيعة المتحدثين بالفارسية وتتميز المناطق التابعة لها بما يلي :

— تعيش كل الاقليات الوطنية تقريبا في هذه المناطق .

— هي مناطق يوجد بها اقلية سنية .

— هي مناطق حدود حساسة استراتيجيا .

— يضم سكان هذه المناطق في اغلب الاحوال جزءا من الاقليات الموزعة على عدة دول (الاتحاد السوفيتي والعراق وافغانستان وباكستان) وتعتبر شعوب هذه المنطقة خط الحدود الذي قسم الاقليات فتاجا لظروف سياسية وموازن القوى تعتبر هذه الشعوب ظاهرة مصطنعة .

وتعرضت الامبراطورية الفارسية لضغط خارجي مكثف في القرن السدي سبق اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وتميز بالتنافس الروسي البريطاني . وكان نظام الحكم ضعيفا ومركزيا . وضمن ذلك للمناطق الهامشية التمتع باستقلال ذاتي نسبي ومع ارتقاء أسرة بهلوى للعرش في ايران في العشرينات من هذا القرن قامت المركزية التي ضمت فيها بعد مناطق الحكم في خوزستان وكردستان التي كانت مستقلة نسبيا . وراح ضحية لعملية التوطين الاجبارية لقبائل البدو الرحل في كردستان الايرانية وحدها — راح آلاف الضحايا في فترة ما بين الحربين العالميتين (انظر لابتون سنة ١٩٥٣ ص ٣٣٦) انظر قاسماو سنة ١٩٧٠ ص ١٥١ ف) .

وأدت سياسة التوطين فضلا عن ذلك الى حدوث تغييرات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي فتحطمت الحياة الجماعية للنظام القبلي القديم وحل محلها نظام الدولة الحديثة . وعلى مستوى آخر قضى على تعدد الشخصية الشعبوية في ايران وحاولت الدولة فرض الانتماء لقومية ايرانية جديدة مصطنعة .

وثمة بعد آخر لهذا التكوين الفيسفائي وهو العلاقة بين الداخل والخارج ومما برز في التحليل الوارد بعاليه حول المناطق الهامشية نجد أن هذه المناطق تشكل أرضية صالحة للضغط السياسي والغزو العسكري من الخارج أيضا . فقد مارست الدول العظمى — وفي مقدمتها روسيا — الاتحاد السوفيتي فيما بعد — نفوذا وضغطا سياسيا على المركز عبر هذه المناطق

الهامشية وتعتبر العلاقة بين المناطق الهامشية وأى دول خارجية تعتبر في نظر السلطة المركزية مؤامرة أو خيانة أو تدخل في الشؤون الداخلية من دول اجنبية كما تعد هذه العلاقة أيضا ذات طبيعة معقدة وتوجد بعض الاقلية والمناطق الهامشية المضطهدة التي تندمج في الدولة الحديثة بشكل كامل والتي لا تتمتع بعلاقة ديمقراطية مع السلطة المركزية ولا تستطيع كأقلية المطالبة بذلك كما أن مصالحها تكمن في التعاون التكنيكي مع دول مجاورة . وتعتبر هذه العلاقة علامة مميزة للصراعات السياسية الهامة في التاريخ الحديث لايران : الثورات في خوزستان ، وجيلان واذريجان ١٩٢٠ / ١٩٢١ والثورات في اذريجان وكردستان ١٩٤٥ / ١٩٤٦ والتي انشأت جمهوريات محلية بمساعدة الاتحاد السوفيتي . وعند دراسة العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية في مثال ايران يجب مراعاة الاسس التالية :

(١) لا تتمتع مفاهيم مثل الاغلبية والاقلية عند النظر الى الجماعات العراقية في ايران الا بأهمية ضئيلة حيث أن الفرس كأكبر جماعة بين الشعب الايراني لا يشكلون الاغلبية المطلقة . ويمكن أن يؤدي ذلك الى مواجهة بين الفرس واغلبية الجماعات العرقية وأدت الصراعات التي حدثت بعد الثورة الاسلامية الناجحة في بداية عهد الجمهورية الاسلامية بين الحكومة وبين العرب والاكرد والتركمانيين المناضلين من أجل الاستقلال وتوسيع نطاق حق تقرير المصير الثقافي — أدت هذه الصراعات الى مثل هذا الوضع (انظر كدى سنة ١٩٨٣ ص ٨٧ — ٨٩) .

تطبيقا لنظرية الحكم الجدد ولما كانت الجمهورية الجديدة ترتكز على الاسلام كانت مساعي الاستقلال الذاتي تعتبر في نظرهم اتجاهات غريبة مدعومة من الخارج ، ولكن يخفى خلف هذه النظرية الاسلامية عنصر التعصب العنصري الفارسي وباستثناء الثلاثة الأشهر الاولى من الجمهورية الاسلامية ، التي تولى فيها كردى يدعى « سنجابى » منصب وزير الخارجية ، فلم تتضمن الحكومات التالية أى عضو من أصل كردى أو عربى أو بلوشى أو تركمانى .

(ب) بالنسبة للعلاقة بين المناطق الهامشية والمركز لم تلعب فقط مشكلة الاقلية وحدها دورا بارزا ، بل أيضا قضية الانتماء المذهبى . فالأذربيجانيون يشكلون أكبر قومية عرقية بعد الفرس ويتمتعون بوضع مميز كشيعة في مواجهة الجماعات العرقية الأخرى . ويشغلون مناصب هامة في الاقتصاد الايراني والجيش وبعض المؤسسات المدنية . وكما كان الانتماء العرقى يشكل عاملا للتمييز بين المركز والمناطق الهامشية وجد الانتماء العرقى نفسه في مواجهة مع قوة جاذبية المركز . فقد اهتمت كل المطبوعات تقريبا ، وخاصة تلك التي صدرت في الغرب — بالبعد العرقى فقط في العلاقة بين

المركز والمناطق الهامشية في الحرب العراقية الايرانية واغفلت اهمية الانتماء المذهبي (١) وبعد الثورة الاسلامية لم يسع الاذربيجانيون للحصول على الاستقلال الذاتي ولم يقوموا بأى عمل مناوئ للسلطة المركزية . ويمكن أن يعزى هذا الموتف من جانب اكبر اقلية عرقية — كانت تمثل في الماضى خطرا داهما على الحكام الايرانيين لأن جزءاً من هذا الشعب يعيش فى الاتحاد السوفيتى — الى العامل المذهبى .

ويمكن أن يفسر التداخل بين الانتماء لعرق والمذهب ، الى حد ما ، موقف الاقلية العربية فى خوزستان والانتماء الثقافى والعرقى للعرب المقيمين فى خوزستان ادى الى تزايد تضخيم ابتعادهم عن المركز ، من ناحية وادى من ناحية اخرى الى حقيقة مفادها أنهم بوصفهم شيعة قلبا وقالبا لابد أن يحتفظوا بقدر من الولاء للسلطة المركزية . ولذلك توقفت مقاومة العرب فى خوزستان عند حدود معينة . وتجلت اقوى التناقضات بين المركز والمناطق الهامشية فى تلك المناطق التى تلعب فيها عوامل الانتماء العرقى والمذهبى دورا .

(ج) يتخذ التطور الاقتصادى والاجتماعى وجها آخر فى العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية منذ ادى التطور الاقتصادى والاجتماعى الى انفجار سكانى فى المدن بسبب الهجرة الواسعة من الريف والى تحول المدن الى مركز للحياة الاقتصادية والثقافية . بينما انخفضت أهمية القطاع الزراعى وسكان الريف بسرعة وكان ٤٪ من اجمالى المشروعات الصناعية يوجد فى كردستان فى عام ١٩٥٨ بينما يشكل الاكراد ١٧٪ من جملة سكان ايران وكان ١٥٪ من الايرانيين حضريين (روث سنة ١٩٧٨ ص ١٠٦ — ١١٠) انظر قاسمى سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) . وفى عام ١٩٥٨ أنتجت كردستان الايرانية ٢٠٪ من اجمالى الانتاج الزراعى الايرانى (قاسمى سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) .

ولكن التطوير الاجبارى والاصلاح الزراعى الفاشل حولا كردستان الى مستورد للمنتجات الزراعية والى مرتبط ببيروقراطية الدولة التى تعتمد على ايرادات البترول .

وفى خلال عشرين سنة جرت عملياته شارك فى بدايتها قبل خمسة وعشرين عاما غالبية سكان الريف وشارك فى نهايتها غالبية سكان المدن فقد اتضح من مراقبة هذا التحول الاقتصادى والاجتماعى الهام تزايد قوة جاذبية المركز بمعنى اعتماد المناطق الهامشية على المركز ورافق ذلك — انحسار مقاومه المناطق الهامشية وامكانياتها للحصول على الاستقلال .

(١) من أهم الدراسات فى اطار النواحي الدينية والمذهبية هناك كتاب اقبال الصادر فى سنة ١٩٨٥ وكتاب شيفلر الصادر فى سنة ١٩٨٥ .

(د) بمراعاة العوامل الواردة بعاليه يمكننا الوصول الى محصلة مفادها عدم حدوث عملية تفكك وغير متوقع حدوثها في المستقبل القريب على الرغم من استمرار اهمال المناطق الهامشية على الرغم من وجود تناقضات بين المركز والمناطق الهامشية بالرغم من مطالب الاستقلال الذاتي . ولم تؤد الحرب العراقية الايرانية — وحتى في فترة الفزو العراقي الى حدوث مثل هذه العملية .

ولكن يمكن ان يؤدي ضغط المناطق الهامشية الى حدوث تفكك عن طريق دعم خارجي مكثف وبخاصة من جانب الاتحاد السوفيتي . وتعطى استراتيجيه الجمهورية الاسلاميه أولوية كبرى لاقامة مركز قوى وهي على وعى كامل بمدى سهوله اختراق المناطق الهامشية التي يحدها الاتحاد السوفيتي في الشمال ومناطق النفوذ الامريكي في الجنوب ولا يوجد في هذا المخطط سوى الاختيار بين انفجار الثورة الاسلامية أو فقدان السلطة في المركز الذي يتعرض لضغط خارجي قوى . وقد صاغت جريدة الحزب الجمهوري الاسلامي الحاكم هذه الاشكالية على النحو التالي :

— تحتاج ايديولوجية الثورة الاسلامية الى التوسع في دول أخرى .

— ان سكان العالم المضطهدين بحاجة الى ثورة اسلامية كمنفعة تجريبية كما ان ايران بحاجة الى تصدير ثورتها الاسلامية والا أجبرتها ضغوط اجنبية على التحول للداخل والارتداد تعرجيا الى قومية . (ايوبى / قدى سنة ١٩٨٣ ص ١٤٨) .

— ان التكهّنات حول تأثير الجمهورية الاسلامية على الجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفيتي التي كانت فيما مضى أجزاء تاريخية من التراث الفارسي لدعم السوفيت لمطالب الاستقلال الذاتي للأقليات القومية في ايران (اقامة جمهورية المستشارين بجيلان في عام ١٩٢٠ انشاء الجمهورية الكردية والجمهورية الاذربيجانية بمساندة الجيش الاحمر في عام ١٩٤٥ وكذلك لتأييد الاخير لمطالب الاستقلال الذاتي للاكراد في عام ١٩٨٠/٧٩ ان كل ذلك هو سمة العلاقات الايرانية السوفيتية التي تتميز بمحاولات فرض النفوذ وبأهمية كل دولة للآخرى . (انظر قدى سنة ١٩٨٣ ص ٩٩ ، ١٠٦ ف) .

٣/٦ الشيعة والاكرد في العراق الحديث

كان يعيش في دولة العراق الحديثة التي تأسست في أوائل العشرينات عديد من الجماعات العرقية والدينية والمذهبية وكان الاكرد يشكلون ١٥ ٪ من اجمالي عدد السكان والمسيحيون ٣ ٪ والأتراك ٢ ٪ والفرس وأقليات أخرى ٣ ٪ وإذا كان السكان العرب يشكلون ٧٩ ٪ من الشعب فإن ثقل هذه الأغلبية يصبح نسبيا في إطار الانتماء المذهبي ، فالسنيون العرب يشكلون ٢٨ ٪ فقط من اجمالي عدد السكان ، وتصل نسبة الشيعة الى ٤٥ ٪ (مصلحة الاحصاء العراقي سنة ١٩٨٢) . وهناك احصائيات غير رسمية تصحح هذه البيانات الرسمية وتشير اغلب المصادر الى أن نسبة الاكرد الى اجمالي سكان العراق تبلغ ٢٦ ٪ (انظر النشرات عدد ١٢١ نوفمبر سنة ١٩٨٤ ص ٢٣) .

وقد اكسبت هذا التضافر المعقد للجماعات العرقية والدينية والمذهبية اهميته من خلال الهيكل المركزي غير الديمقراطي الصارم للدولة العراقية التي يتولى العرب السنيون الحكم فيها . وسنحاول فيما يلي تحليل علاقة جماعتي الشيعة والاكرد ، بهركز السلطة السياسية وذلك نظرا لاهميتها بالنسبة للصراع بين ايران والعراق .

(١) الاكرد

تكونت في إقليم كردستان العراقي حاليا مملكة كردية مستقلة ذاتيا بعد الحرب العالمية الاولى في عهد الانتداب البريطاني . ولم تتحقق مساعي الساسة الاكرد لاقامة الدولة الكردية المستقلة التي تم النص عليها في معاهدة سيفر سنة ١٩٢٠ . ثم أطاح الجيش البريطاني في سنة ١٩٢٤ بالمملكة الكردية الصغيرة التي كان يحكمها الشيخ محمود . وعهد الى عصبة الامم تقرير مستقبل جنوبى كردستان (كردستان العراقية حاليا) (١) .

وعلى الرغم من مقاطعة غالبية الاكرد في هذه المنطقة للاستفتاء الذي نظّمته عصبة الأمم أو اتخاذهم موقف سلبي من ضمت هذه المنطقة للعراق في سنة ١٩٢٥ (قاسمى سنة ١٩٧٠ ص ٨٠ - ٨٩) . ووعدت العراق وبريطانيا - التي كانت الدولة المنتدبة حتى سنة ١٩٣٢ - بمنح الاكرد حقوقا ثقافية وحكما ذاتيا اداريا . وتعود جذور الخلافات الأخيرة بين الاكرد والسلطة

(٢) انظر عصبة الامم ، مسألة المواجهة بين تركيا والعراق ، جنيف

١٩٢٥ ص ٤١ - ٤٦

المركزية في العراق الى هذه القرينة التاريخية على الرغم من أن وضع الاكراد في العراق أفضل نسبيا عن مثيله في الدول الاخرى .

ويتميز التاريخ الحديث للعراق بمقاومة الاكراد ومساعدتهم لحق تقدير المصير الثقافي والاستقلال الذاتي وكذلك المطالبة بالمشاركة في السلطة السياسية وبعد الثورة العراقية في سنة ١٩٥٨ ظهرت حركة المقاومة الكردية في الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٥ وتم حصول الاكراد على حقوق ثقافية معينة وكذلك مشاركتهم في السياسة . وسجلت المفاوضات التي جرت بين قادة حركات المقاومة الكردية والحكومة في اعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ ، و ١٩٧٠ وكذلك البيانات الحكومية الرسمية الاضرار التي لحقت بالمناطق الكردية على المستويين الثقافي والسياسي وبالنسبة لبرنامج الانماء الاقتصادي .

وتحولت الحركة الكردية الوطنية في خلال ربع القرن الماضي الى عامل سياسي هام يستطيع الضغط على الحكومة المركزية وتأكد من احداث تغييرات في مركز السلطة وتغيير السلطة واعادة تشكيل الحكومة اكثر من مرة وليس الاكراد في وضع يؤهلهم للاستيلاء على السلطة في الدولة ونظرا لدورهم كاتلية عرقية — تستوطن الطرف الشمالي من الدولة . وعموما يعد الاكراد عاملا يمكن أن يضغط على المركز ويهز استقرار البلاد . وتعتبر هذه الاشكالية مؤثرة على العلاقات الاقليمية والدولية للحركة الوطنية الكردية . ولم يحصل الاكراد على مساعدة الدول المجاورة والدول الكبرى فقط بسبب مطالبهم السياسية الواقعية بل بسبب الرغبة في اهتزاز العراق ونظام حكمه بهدف الاطاحة أو على الأقل تغيير اتجاه الحكومة المركزية . وأبلغ مثال على ذلك هو دعم ايران والسياسة الامريكية والسوفيتية للاكراد .

هذا ، ويمكن للحركة الوطنية الكردية ، وهي التيار الرئيسي بين الشعب الكردي وقد سيطرت عدة مرات خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة على مناطق يقطنها حوالي مليون شخص وكان لديها جيش يزيد عدد أفراده على مائة ألف — يمكن لهذه الحركة الوطنية الكردية أن تنفصل عن الصراع بين المركز والمناطق الهامشية وسط ظروف اقليمية ودولية محددة لتلعب دورا اقليميا هاما . وساعد ظهور قوى محلية في المنطقة والصراعات العرقية والمذهبية بما لها من بعد دولي ، على تكون عامل قوة ساسية جديدة مثل الدروز في لبنان ومن الممكن تكرار مثل هذه العمليات في حالة تصعيد الصراع مع ايران .

وتتنمى الحركة الوطنية الكردية المسلحة في أغلب الاحوال وتسيطر وبشكل خاص في العراق وايران على مناطق تطالب باحتيتها فيها باعتبارها مناطق محررة — تنتمى الحركة الوطنية الكردية الى أهم الظواهر الجديدة في هذا البناء — الفدرسائي — لتركيبية القوى السياسية بالمنطقة لأنها تشكل مركز قوة ، وتحكم مناطق صغيرة وتلعب عن طريقها دورا في العلاقات والصراعات الاقليمية . وتدخل

هذه الحركة في تحالفات مع قوى اقليمية ودولية وتحصل بذلك على ما يشبه كيان الدولة وكانت الانتفاضة الكردية بزعامة البرزاني في عام ١٩٧٤ ، وبالنسبة لمناطق المحررة وعدد القوات المسلحة — أكبر من انتفاضة جمهورية مهاباد التي كان يساندها الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤٦ . ولكن حالت ظروف دولية غير مناسبة دون انشاء كيان دولتهم .

ويلعب اكراد العراق وايران في حرب الخليج دورا ليس بالقليل ولم تنجح كل من العراق وايران الا بشكل ضئيل في جذب الاقلية الكردية في البلد الآخر الى استراتيجيتها ، ويعود السبب الرئيسي في ذلك الى أن الاتجاه الريفي يميل الى الشخصية القومية وفي ايران لم تؤد الافكار الاسلامية للجمهورية الجديدة عن القومية الى حل مشكلة الاقليات . كما أن الثورة الاسلامية لا تشكل بديلا سياسيا للاكراد المقيمين في العراق . ولذا لم يحدث أو حدث بشكل فردي — تعاون بين التنظيمات الكردية المعادية والانظمة الحاكمة في العراق وايران .

وشكلت الحركة الوطنية الكردية مركز قوة مستقلا عن نفوذ الانظمة تزايدت أهميته مع تنامي عدم الاستقرار . ولن يحدث تغير كما في الوضع بتصعيد أن الصراع الاقليمي أو بمعنى آخر بتدخل الدول العظمى . ويرى خبير استراتيجي حدوث مثل هذا التطور في ضوء سياسة دولة كبرى كالاتحاد السوفيتي في الشرق الأدنى والوسط ، ويمكن القول بأن ما قاله يركز على رؤية مؤيدة للغرب بشكل واضح .

كانت السياسة الامريكية العلة في منطقة الشرق الاوسط تسمى الى الحفاظ على استقرار هذه المنطقة وأمن حدودها القومية وابعاد النفوذ السوفيتي . أما عن سياسة الجانب السوفيتي الآخر فهي تهدف الى عدم الاستقرار ، والبلقنة وإعادة ترتيب الحدود القوية وطرد النفوذ الامريكي وحرمان الغرب من بتترول الشرق الاوسط . وحل السوفيت بنجاح الى حد ما كسب السيطرة على مختلف الجماعات الكردية التي تضم الكثير من الشيوعيين الذين تم تدريب الكثير منهم أو تلقوا تعليمهم في الاتحاد السوفيتي . وقد يصبح الاكراد أداة مناسبة في التأثير على جريات الأمور .

وعلى أية حال اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا محايدا في حرب الخليج ووقف ظاهريا عن توريد الاسلحة المتعاقد عليها وقطع الغيار والذخيرة للعراق . ومع ذلك لا تتوقف أبدا المصانع السياسية للسوفيت وأهدافها طويلة المدى ونذلك ربما تظهر قريبا صواريخ سام — ٧ السوفيتية أو المدافع المضادة للطائرات طراز زد اس يو ٢٣ — ٤ في أيدي الاكراد . وتعتقد الكثير من الأمور على احتمال تدخل أمريكا بشكل أو بآخر في حرب الخليج أو عدم تدخلها . ويبدو أن القوتين العظميين تنتظران كيفية وقوع جولة ثانية من حرب الخليج قبل أن تلتزم كتا القوتين بالتدخل . وإذا تدخلت إحدى القوتين أو كلتاهما فلن عالج الاكراد سيكون له أهمية كبيرة (أو بلانس الصادر في سنة ١٩٨١ ص ٢٠) .

(ب) الشيعة

يمثل الشيعة نصف سكان العراق تقريبا حيث تصل نسبتهم الى ٤٥٪ . وبعد أن لعبوا دورا حاسما في حرب الاستقلال ضد البريطانيين وانحسر نفوذهم على السلطة السياسية ووضعهم السياسي (النفيسي سنة ١٩٧٣ ص ١٣٠ الى ١٣٩ وص ١٦١ حتى ١٦٦) أما اليوم فلا يتفق دورهم في الدولة ووضعهم على قمة الدولة وفي المؤسسات المدنية والعسكرية ، مع نسبتهم الى اجمالي عدد السكان .

يضاف الى ذلك ظاهرة اجتماعية أخرى فالمناطق التي تقطنها أغلبية شيعية في الجنوب والجنوب الغربي للعراق أكثر فقرا بشكل نسبي وأهميتها الحكومة في اطار برنامج التعمير والتنمية بالمقارنة بمناطق أخرى .

وقد حدث في التاريخ القريب للعراق مشاركة رمزية للاكراد والعرب الشيعة — على الأقل — في الحكم (كما حدث في سنة ١٩٥٨ عند تشكيل مجلس الرئاسة الثلاثي الذي كان يضم عضوا سنيا وشيعيا وكرديا) الا أنه تم التخلي عن هذه المشاركة فيها بعد . ولعل أبلغ مثال على ذلك هو الشيعة في حزب البعث .

فقد تراجع نصيب الشيعة في قيادة الحزب بعد استيلاء الحزب على السلطة وهبط الى الصنر . ولدى تولي الحزب السلطة لأول مرة في عام ١٩٦٣ انخفض عدد الشيعة في مناصب الحزب العليا . وحصل الشيعة على ٢٧٪ من المناصب الحزبية في المجلس الوطني للقيادة الثورية — وهو أعلى سلطة سياسية — في الفترة من فبراير حتى نوفمبر سنة ١٩٦٣ بينما احتفظ بالعرب السنيون — ٦٧٪ ، مع ملاحظة أن نسبتهم الى سكان العراق تصل الى ٢٨٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٠٨) .

وشغل العرب السنيون ٩٣٪ من المناصب القيادية في المجلس الثوري خلال الفترة من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٧ ، ولم يكن هناك أي فرد من طائفة الشيعة العرب . وفي كل الفترات كان نصيب الاكراد العرب (السنيين) من هذه المناصب بنسبة ما بين ٥٪ الى ٦٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٩٠) .

وهناك سبب آخر لاهمال الشيعيين ويتمثل في الموقف الرافض لعلماء الدين الشيعة لظاهرة الدولة الحديثة وعمليات التحديث والتعليم والنظام المدرسي ويعود هذا الموقف الرافض الى الامبراطورية العثمانية ولكن ذلك ليس سببا كافيا لاهمال الشيعة في الحياة العامة والسياسية ولا يمكن أن يكون مبررا لحق الاحتكار من جانب السنيين (النفيسي سنة ١٩٧٣ ص ٤٨ — ٥٠) .

وبصرف النظر عن المستوى السياسي كانت المؤسسة الدينية والمدارس الدينية في مدينة النجف الشيعية المقدسة مركزا دينيا وثقافيا مستقلا نسبيا تهتد

قوته الاشعاعية الى ما وراء حدود العراق وكلن عدد رجال الدين الشيعيين وكذا نفوذهم اقل جوهريا بالمقارنة بايران . وتحتل اهم واكبر مدرسة في النجف بالنسبة للشيعية نفس المرتبة تقريبا التي تحتلها جامعة الازهر بالقاهرة بالنسبة للسنيين . وكان بين الالفى الطالب الذين كانت تضمهم تلك المدرسة الشيعية في عام ١٩٥٧ حوالى ٨٩٦ من ايران ، و ٣٢٦ فقط من العراق ، ٤٢٤ من باكستان ، ٢٧٠ من التبت ، ٤٧ من لبنان و ٢٠ من البحرين والسعودية (النفيسى سنة ١٩٧٣ ص ٥٠) ويتعرض هذا المركز الدينى والثقافى دائما لضغوط من جانب الحكومة العراقية فقيد النفوذ السياسى لرجال المذهب الشيعى ، وانخفضت قدرتهم المالية . لتخفيض عوائد الاوقاف (بغاتو سنة ١٩٨٢ ص ٢) . وبعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران وما تلا ذلك من موجة استفزازية ضد الشيعة فى العراق خلال عامى ١٩٨٠/٧٩ تخلت النجف عن دورها كمركز دينى وثقافى لتضطلع به ايران .

كلن الشيعة دائما جزءا من قاعدة الجماعات المعارضة فى العراق . وفى عام ١٩٥٩ تأسست اول منظمة شيعية دينية . وكان تأسيس حزب الدعوة ردا على الموجة الشيوعية فى العراق ولكنه لم يتورط فى أى صدام جاد مع نظام الحكم (انظر النشرة العدد ١٢١ سنة ١٩٨٤ ص ٢١ ، انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) .

ولم يؤثر نفى الخمينى فى الفترة من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٨ فى النجف على الحركة الشيعية وحزب الدعوة . وكان محمد باقر الصدر شخصية شيعية فى السبعينيات بالعراق وتعد كتاباته حول الفلسفة والاقتصاد الاسلامى وحول الشؤون المصرفية والنظام السياسى من اهم الدراسات الاكاديمية فى العالم الاسلامى (بغاتو سنة ١٩٨٢ ص ٨) . وتنبأ عديد من المراقبين قيامه بدور مشابه لدور الخمينى بعد عام ١٩٧٩ الا أن اعدامه مع شقيقته فى ١٩ ابريل سنة ١٩٨٠ كان بمثابة قطيعة بين النظام والشيعة التي فقدت شخصيتها القيادية ولم تتحمل هذه الخسارة مما أدى الى ضعف الحركة الشيعية فى العراق .

وشن حزب الدعوة والمجاهدون وحزب أمل حربا سرية يائسة فى الاعوام الماضية ضد الحكومة (انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) . وادت العمليات القمعية الى نقل قواعد هذا النضال الى ايران ، والى صفوف المنفيين العراقيين . ويعمل مجلس الثورة الاسلامى فى العراق —والذى يضم كل المنظمات الشيعية — من ايران ، ويضم ٥٠٠٠ مقاتل تقريبا يحاربون مع وحدات إيرانية ضد العراق . وقد أدى اعتيادهم على ايران وانفصالهم عن باقى العناصر المعارضة من تقليل فرصتهم فى أن يكونوا به بديلا للنظام العراقى الحاكم ويعتبر من قبيل التصورات الخاطئة اعتماد الشيعة العراقيين فقط على التيارات السياسية الواردة باعلاه والمرتبطة بايران واكثر الشيعة العراقيين من أنصار

آية الله الشيبوي (١) وبدراسة كلتا المجموعتين الواردتين بحالته لا يمكن وبشكل تلقائي استنتاج انحياز الشيعة والاكرد لايران . فمن الواجب مراعاة النواحي التالية : —

(أ) تعد مسألة (الهوية) العراقية موضوعا معقدا فالشيعة والاكرد ليسوا مندمجين بشكل كامل في الدولة وهناك انتهاءات أخرى تمنع عملية الاندماج التي بدأت في الستين عليا الماضية وحقت نجاحا ضئيلا . ان كانت ضعيفة ومتناقضة من الناحية الظاهرية الا أنه يمكن الحديث عن وجود (هوية) عراقية حتى بين صفوف الاكرد والشيعة . وهذا يفسر كيف استطاعت الحكومة العراقية تعبئة قطاع وان كان صغيرا — من هذه الجماعات ضد الغزو الايراني (باتلر سنة ١٩٨٢ ص ٨) .

(ب) يعيش كل من الاكرد والشيعة في المنطق الهامشية من العراق مما يقلل من أهمية مقاومتهم وقوتهم الضاربة بشكل ملحوظ . وتبدو عملية المركزية على الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية بالعراق أكثر وضوحا منها في ايران وينطبق نفس الشيء بالنسبة للاعتماد على عائدات البترول .

(ج) يستوطن اكرد سننيون — هم اقل استعدادا للتعاون مع ايران بسبب تبني اتجاهها معتدلا لا يؤدي الى « تسييس » المؤسسة الشيعية في العراق الاسباب الواردة بعاليه — أو العرب السننيون ، مناطق النفوذ والتأثير المحتملة لايران . ويتركز السكان الشيعة بشكل رئيسي في العاصمة بغداد والجنوب الغربي للبلاد .

(د) مع تنامي أهمية العاصمة بغداد ، التي يقطنها اليوم حوالي ربع عدد سكان العراق ظهر عامل هام وجديد ، وهو تركز الشيعة من سكان بغداد في المناطق الفقيرة مثل الثورة والحرية والشعلة وذلك بسبب التغيير الاقتصادي والاجتماعي الجذري وبسبب انهيار الزراعة . ويعيش حوالي نصف سكان بغداد في هذه المناطق الهامشية ، ففي حى الثورة وحدها يعيش أكثر من مليون شخص يواجهون ظروفنا اقتصادية واجتماعية رمزية ويواجهون ظروفنا سكنية سيئة (باتلر سنة ١٩٨٢ ص ٤) . أتجتاح هذه الاحياء (التي كلفت دائما قاعدة للقوى المعارضة ، خاصة الشيوعيين) موجة دينية .

ومن الممكن تحت ظروف معينة أن تفجر في هذا الوضع انتفاضات الخبز كما حدث في انتفاضة العشش بطهران في بداية الثورة الايرانية أو الانتفاضات التي حدثت في كل من المغرب وتونس . وتعتمد هذه الاحداث أولا وقبل كل شيء على سوء الاحوال الاجتماعية وليس ارتباط كبير بحرب الخليج التي زادت من جانبها من حدة الازمة الاجتماعية .

(١) يعد آية الله أبو القاسم الشيبوي أقدم فقيه شيعي من أصل ايراني ، ويعيش في النجف بالعراق ويواصل هؤلاء التقليد السلبي للشيعة ولا يشاركون في الصراعات السياسية .

(هـ) ان الهيكل السياسى للمجتمع العراقى معقد أو لا يقدم بديلا معقولا لنظام الحكم الحالى ولا تتركز السلطة السياسية فى أيدى الاقلية السنية فقط ، بل هى أيضا فى أيدى أفراد من مدن وعائلات معينة . وكانت القاعدة التقليدية للقومية العربية فى العراق مركزة فى مدن الموصل ورمادى وأحياء سنية معينة فى بشداد و مدن صغيرة مثل تكريت « وناوروا » والسامراء التى كانت تستأثر تاريخيا بتقديم الجانب الاكبر من موظفى جهاز الدولة العراقية (انظر باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٢١٦ — ١٢٣٠) .

وفقدت الموصل ورمادى منذ سنة ١٩٦٨ أهميتها ، بينما كلفنا تحتلان ندرا هاما فى عهد البصريين خلال الفترة من سنة ١٩٦٤ الى سنة ١٩٦٨ — فى السلطة السياسية والوظائف المدنية والعسكرية . وينحدر اليوم كبار الموظفين أو أغلبهم من هذه المدن الصغيرة الواردة بعاليه . وتعود الخلافات بين الجماعات المختلفة داخل نظام الحكم انى أصل أعضائها فى أغلب الاحوال ، ففى عام سنة ١٩٧٩ اقصى المنتمون الى السامراء عن السلطة السياسية .

وتعانى المعارضة وكذا كل الكيان السياسى للعراق من هذه الاشكالية . ولا يوجد جماعة سياسية تتمتع بقاعدة ضخمة باستثناء الحزب الشيوعى ، وهر حزب صغير نسبيا ويتواجد انصاره فى كل المناطق وبين كل طبقات الشعب ، ويتواجد أنصار التيار الناصرى والحزب الملتزم بالناصرية بين العرب السنيين وخاصة فى المدن الواردة بعاليه ، وهم حاملو لواء القومية العربية وتحصر الاحزاب الكردية نطاق تأثيرها ، بسبب طابعها القومى على المناطق الكردية . ويسرى نفس الشئ على المنظمات التركمانية والاشورية .

أما الحزب الإسلامى فهو مقيد محليا ومذهبيا والتنظيمات الاسلاميه التقليدية مثل حزب التحرير والفرع العراقى للاخوان المسلمين بضمان السنيين من العرب فقط .

ولا تضم المعارضة الشيعية الواردة بعاليه ايا من اهل السنة أو الاكراد ، وتقتصر على مناطق معينة . وتوجد قاعدة حزب الدعوة فى النجف على وجه الخصوص ويغلب عليه الطابع العربى . أما قاعدة حركة اهل فتركز فى كربلاء حيث توجد عناصر عديدة من أصل ايرانى .

ويتأثر هذا التركيب المعقد بظروف المنطقة بحيث يساعد على التدخل من جانب ايران والاتحاد السوفيتى أو من دول أخرى . واستطاعت الحكومة العراقية استغلال هذا الوضع لصالحها على الرغم من التناقضات الداخلية ويعرقل عدم وجود قاعدة مشتركة لكل الاحزاب والمنظمات وجود بديل سيسى للحكومة الحالية . ويستنتج من ذلك أن انهيار العراق سيؤدى اما الى صراعات بين العديد من مراكز القوى مع حدوث تورط وتأثير اقليمى ودولى أو قد يؤدى الى لبنة العراق .

٤/٦ بعض الاستنتاجات

ولا تعد العوامل التي تم تناولها بعليه مسئولة عن عمليات عدم التكامل والاضطراب وهي ليست ظاهرة مميزة فقط بالنسبة للعراق وإيران بل هي ملحوظة في باقي دول المنطقة وهكذا نجد أن الأهمية المتزايدة للطائفة الشيعية التي توجد في لبنان والتي تدعمها إيران تعتبر أحد عناصر التناقضات الإقليمية الملموسة بشكل جزئي في الحرب العراقية الإيرانية ويجب النظر إلى اضطهاد السكان الشيعة في دول الخليج في ضوء انتشار هذه الإشكالية الإقليمية . ففي البحرين يشكل الشيعة أغلبية السكان أما في السعودية والإمارات العربية المتحدة فيشكلون أقليات كبيرة . وكما هو الحال في العراق نجد أن مشاركتهم في السلطة السياسية محدودة كما يوجد إهمال اقتصادي وإهمال في البنية للمناطق التي يسكنها الشيعة ومن الضروري مراعاة هذا الجانب ومراعاة قوة التأثير الإيراني على دول الخليج في إطار الصراعات الإقليمية .

ومن الممكن للطوائف الشيعية في هذه الدول أن تكون عاملاً مؤثراً في أي تحول سياسي بعيداً عن إيران .

(ب) تعد حركتا الوحدة العربية والوحدة الإسلامية تيارات سياسية ذات طابع وحدوي يتجاوز الإقليمية وأهدافها قابلة للتحقيق في ظل الوضع الحالي . ولكن الأنشطة بتنظيماتها تعمل على نشر الفرقة وعدم الاستقرار وقد تؤدي وتفيد عملية الفرقة في إعادة تشكيل جديدة ولكن احتمالات حدوث مثل هذه العملية ليست قريبة .

ويبدو أن دول الخليج هي المستثناة من عملية الفرقة وعدم الاستقرار هذه ، منذ دفع الخوف من أطماع السيطرة الإقليمية لكلتا الدولتين المتورطتين في حرب الخليج - الحكام إلى إيجاد تعاون ثنائي سياسي أوثق . وهذا التعاون أحد نتائج الحرب العراقية الإيرانية التي تفسر من المكونات غير المتجانسة وغير المتوافقة الموجودة بعمق هذه الدول .

(د) وتستفيد الدول الكبرى من الحرب ومن الصراعات والخلافات الإقليمية ، وهي ليست قادرة على حل هذا الصراع وليس لها مصلحة في تسويمه . وتهدف هذه الدول إلى إيجاد توازن بين طرفي الصراع وعلى الحد من امتداد هذه الحرب إقليمياً . ويمنع وضعها الاحتكاري للتسلح المتقدم من تصعيد الحرب وبدرجة معينة :

وهيات الحرب عاملين أساسيين لاعتماد المنطقة على الدولتين العظميين وتسليحها فيها : انعدام الأمن والاستقرار . وهناك سبب ثالث للاستقرار

والتدخل يبدو انه سيسرى على العراق في المستقبل ويتمثل في عجز الدولة عن تسديد الديون وعلان افلاسها وذلك يعنى تحولا جديدا في العلاقة مع الدولتين العظيمين واختيار جديد للنظم السياسى الدولى .

(ه) لا تلوح في الافق نهاية لهذه الحرب ، وسيترتب على ذلك أن يواجه العراق حرب الاستنزاف على المستوى الاقتصادى . وبفضل خطوط البترول الحديثة والتي بدأ العمل لها يبدو أن العراق بمنأى عن هذا الخطر حتى وان كانت عوامل أخرى تؤثر على هذا التطور . وعلى الرغم من استطاعة العراق إعادة ما يستخرجه من بترول وما يصدره من بترول الى معدلات ما قبل الحرب تحد أنه من غير المؤكد أن ينجح في عرض ٣ ملايين برميل يوميا في السوق البترولية المتشعبة (لتحقيق المكاسب المأمولة) تلك السوق التي انهارت واقعيا بانتهاء الوبك الذى تم بسبب مستهلكى البترول مما أدى بالتالى الى انهيار الاسعار .

واذا ما ظل النظامان الحاكمين بالعراق وايران في مكانهما دون تغيير فمن المستحيل حدوث نهاية لهذه الحرب في صورة اتفاق سلام ملزم لكلا الطرفين كما حدث اتفاقية عام ١٩٧٥ . وحتى اذا ما أدت الطاقات العسكرية المحدودة ام حرب المواقف الثابتة المتأثرة بالعوامل الاقليمية والدولية الى نصر شامل أو غزو كبير (وان كان ذلك أمرا غير مستبعد) فان هذا الصراع المزمع سيتحول الى حرب استنزاف .

وتعد زيادة الصراعات والاتجاهات الانفصالية الجديدة لجماعات محيية ومذهبية صغيرة تعد عملية سلبية في هذه المنطقة وتحمل في طياتها خطر « لمننة » بعض الدول وتتمثل نتائج ذلك في تزايد الانفاق على التسليح والجيش وعسكرة المجتمعات والتعويق المكثف للتنمية .

ومن الممكن التغلب على المشاكل الرئيسية لهذه الدول مثل التنمية الاقتصادية والديمقراطية ومشاكل التكوين وكذلك العلاقة المعادلة بين الشمال والجنوب في اطار وحدات اقليمية أكبر أو تعاون سلمى بين الدول على أساس تنظيمات اقليمية مثل الاوبك والجامعة العربية ومنظمة الدول الإسلامية . والكيانات غير الديمقراطية وغير العادلة الحاكمة لهذه الدول تجعل انتشار الاتجاهات الفرقة وعد الاستقرار أمرا لا يمكن تجنبه .

وفي هذا الاطار تلعب الحرب العراقية الايرانية دورا مهما ، فهناك جماعات معينة في كلتا الدولتين وكذا جماعات اقليمية . والدول العظمى وتجارة الاسلحة الدولية تستفيد من هذه الحرب التي لم تؤد فقط الى حدوث تغيرات و تركيبات السلطة بل أدت أيضا الى بروز وارتقاء تنظيمات ومراكز قوى اصغر .

النفقات العسكرية في الشرق الاوسط بالبيسلر دولار ابتداء من عام ١٩٧٨ (

الدولة	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠
انغانستان	١٤	٦٨	٦٣	٤٨	٤٤	٤٢	٤٤	٥٠	٥٩	—
الجزائر	١٤٥	١٩٢	٢٢١	٢٢١	٢٢١	٢١٧	٤٢٦	٤٢٦	٤٦٥	٥٢٤
البحرين	—	—	—	—	—	٢٥	٤٧	٢٣	٥١	١١٥
مصر	٦٧٧	٩٤٩	١٥١٧	١٥١٧	٢٥٨٩	٢٩١١	٥٩٢٧	٥٠٠٤	٢٣٢٧	٢٥٠٩
اثيوبيا	٧٣	١٢٦	١٢٣	٩٧	٨٦	٩٩	١٣٦	١٧٠	٢٥٤	٣٤٤
ايران	٥٤٣	٦١٢	١١٣٣	١٦١٥	١٨١٤					
العراق	٣٤٦	٤٦٢	٥٧٨	٦٧٧	٨٤٦	٢٥١٨	٧٢٦٤	١٠٥٥٧	٢٩٤٢٤	٤٠٤٠
اسرائيل	٢٥١	٤٠٦	٥٦٦	١٢٣٢	١٩٨١	٨٣٠	٢٠١٦	٢٠١١	٢٠١١	٢٩٤٤٠
الاردن	١٩٠	١٩٠	٢٢٨	٣٦٤	٢٨١	٢٠١٢٤	٢٩٠٠	٢٣١٥٩	٢٣٦٧٦	٢٣٢١٨

الكويت	٨٦	٩٠	١٥٨	٢٨٥	٢٠٢	٢٩٢	٢٥٠	٤١١	٢١١	٤٩١
بنفسان	٨٣	٧٤	١٠٠	١٢٥	١٢٢	٣٧١	٧٢٤	١٢٠٦٤	١٢٠٧٦	٩٢١
ليبيا	٢١	٢٦	٦١	١٧٤	٤٦٤	١٧٤	٢٠٩	١٧٤	١٦٦	٢٠٠
موريتانيا	١٠	٦	٥	٦	٦	٥٢٣	١٠١٠	١٢٠٢	١٢٠٤٩	—
المغرب	١٦٣	١٩٢	١٧٦	٢٢٣	٢٢٦	٨	١١	٥١	٨٤	٧١
عمان						٢٧٠	٣٦٧	٧٥٥	٧٧٠	١٢١٦٦
باكستان	٢٢٢	٥٩٣	٧٤١	٦٢٠	٧٢٥	٧٢	٣٤٢	٧٨٥	٧٦٧	١٢٠٧٩
السعودية	٤٢٣	٥٠٣	١٢٠٢٢	١٥١٧	١٧٢٩	٩٧٨	٩١٢	٩٤٣	٩٨٨	١٢٠١٥٢
الصومال	١٢	١٥	١٦	٢١	٢٦	٢٦٢٣	٤١١١	٨٤٣٣	١١٢٣٧٩	٢٢٢٥٨
السودان	١٧	١١٠	١٤٧	١٧٩	٢٥٣	٢١	٢٦	٢٢	٦٧	٧٧
سوريا	٢١٣	٢٤٠	٢٢٠	٢٧٧	٢٨٤	٢٥٩	١٨٤	١٩٣	٢٠٧	٢٨٥
تونس	٣٣	٤٠	٣٧	٤٢	٤٥	٤٢٧	٦٢٤	١٢١٠	١٢١٦٥	٢٢١٨٦
تركيا	٢٠٣٥	١٠١٥٢	١٢١٨٩	١٢٦٧	١٢٣٢	٥٢	٦٤	٩٨	١٤٨	١٩٤
الإمارات						١٢٨٣٣	١٨٩٤	٢٣٤٢٠	٢٣٧٢٨	٢٣٧٥٤
البحرين الشمالية	٥	٩	٩	٣٢	٥٩	—	٢١	٨١	٦٨٩	١٢١٦٢
البحرين الجنوبية				٤٦	٤٤	١٠٠	١٠٦	١٢٥	٧٩	٩٨

المصدر : حرب ريبوب رقم ١١٢ تقديرات توضع الانتخابات ولكنها (١٩٨٣)
هذه البيانات في أغلبها لا تغطي ارقاما محددة

عقود توريد الأسلحة عبر بلد ثالث في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١
(بالمليار الدولار ابتداء من ١٩٧٢)

النسبة	الاجمالي	المورد
٢٦,٨	٤٢,٥٦٠	الاتحاد السوفيتي
٢,٦	٥,٧٨٠	اوريسا القيريقية
		الولايات المتحدة :
		- اسلمة
٢٢,٢	٢٥,٢١٠	- تجهيزات
٧,٧	١٢,٢٣٤	- خلاله
٧,٧	١٢,٢٨٠	اوريسا القيريقية
٢٤,٨	٢٩,٣٨٠	دول اخبرى
٧,١	١١,٢٦٠	

صفقات اسلحة متفرقة للشرق الاوسط في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١

النسبة المئوية		الشرق الاوسط في الشرق	
من غربى من اوربا	من الاتحاد السوفيتى	من الولايات المتحدة	النسبة المئوية الاوسط بالانسية للعالم
الشرقية	اوربا	الشرق	الثالث

١٩٤	٨٧٨	٤٤٤٣	٢٢٣٣	٢٢٢٢٤٠	٦٩٨٨	دبابات/مدافع
٢١	١٢٣	٤٠ ر -	٣٨٩١	٢٦٩١٧٥	٧١٣٣	اسلحة خفيفة
١٣٢٦	٠ ار -	٢٥٨٧	٦٩٧	٢٦٩٧٥	٤٩ ر -	مدفعية
-	٩٥	٦٢٢٦	١٩٥	٤٩١١٠	٦٩٥٠	طائرات مقاتلة
٢١	٥٠ ر -	٢٤٢٦	١١٥	٢٦١٠٠	٤٧٢٤	طائرات عمودية
١٠ ر -	-	٦٦٢٦	٢٤٢٢	٣٠١٨٠	٨٤٢٤	مصاريع/ارض / جو

الشرق الاوسط وشمال افريقيا : واردات الاسلحة وصفقات الاسلحة في الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٤
ومن ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩ (بالمليار دولار)

المنطقة	قيمة اجمالية	النسبة المئوية للامم المتحدة	القيمة الاجمالية	النسبة المئوية للمنطقة	اكبر الموردين	النسبة المئوية	اكبر اربعة موردين	النسبة المئوية
المنطقة	القيمة اجمالية	النسبة المئوية للامم المتحدة	القيمة الاجمالية	النسبة المئوية للمنطقة	اكبر الموردين	النسبة المئوية	اكبر اربعة موردين	النسبة المئوية
الشرق الاوسط	١٩٢٤٤	٥٠	٢٣٢٠	٢٥	الاتحاد السوفيتي	٢٥	الاتحاد السوفيتي	٢٥
			٢١٨١	٢٣	الاتحاد السوفيتي	٢٣	الاتحاد السوفيتي	٢٣
			٢٠٥٣	٢٢	أمريكا	٢٢	أمريكا	٢٢
			٢٦٨٨	١٨	أمريكا	١٨	أمريكا	١٨
			٢٣٦	٤	الاتحاد السوفيتي	٤	الاتحاد السوفيتي	٤
			٢٢٤	٣	أمريكا	٣	أمريكا	٣
			٦٥٦	٨٤	فرنسا	٨٤	فرنسا	٨٤
شمال افريقيا	٧٨٣	٤	٦٤	٨	أمريكا	٨	الاتحاد السوفيتي	٦٩
			٤١	٥	فرنسا	٥	أمريكا	٩٦
			٢٣	٣	فرنسا	٣	بريطانيا	٥٢
الشرق الاوسط	٢٠١٤١	٤٨	٦٢٢٩	٣١	أمريكا	٣١	أمريكا	٨١
			٢٨٠٦	١٤	أمريكا	١٤	الاتحاد السوفيتي	٧٩
			٢٦١٥	١٣	أمريكا	١٣	فرنسا	٩٨
			٢٤١٨	١٢	الاتحاد السوفيتي	١٢	بريطانيا	٩٣
			٢٠٠٨	١٠	أمريكا	١٠	بريطانيا	٩٥
			١١٧٠	٦	الاتحاد السوفيتي	٦	الاتحاد السوفيتي	٨٤
شمال افريقيا	٨٨٤٨	١١	٣١٥١	٦٥	الاتحاد السوفيتي	٦٥	الاتحاد السوفيتي	٧٩
			٨٦٣	٢٠	فرنسا	٢٠	فرنسا	٨١
			٦٦٠	١٤	الاتحاد السوفيتي	١٤	أمريكا	٧٩
			٧٢	١	إيطاليا	١	بريطانيا	٢٨

١٩٧٤ حتى ١٩٧٠ ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩

أكبر مصدري السلاح للعالم الثالث في الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٠
(بالمليار الدولار)

المصدر	القيمة	النسبة المئوية للمصادر للعالم الثالث	أهم المستورين مقابل كل مصدر
البرازيل	٤٢١	٣٣ر١	تشيلي
اسرائيل	٣٦٧	٢٨ر٩	جنوب افريقيا
جنوب افريقيا	١١٦	٩ر١	زيمبابوي
ليبيا	٩٨	٧ر٧	سوريا
مصر	٧٢	٥ر٧	الصومال
كوريا الجنوبية	٣٨	٣ر٠	اندونيسيا
الارجنتين	٣٥	٢ر٨	تشيلي
السعودية	٣١	٢ر٤	الصومال
سنغافورة	١٧	١ر٣	تايلاند
اندونيسيا	١٦	١ر٣	بنين
كوبا	١٥	١ر٢	بيرو
الهند	١٢	٠ر٩	جنوب افريقيا
دول أخرى	٣٣	٢ر٦	
الإجمالي	١٢٧١	١٠٠ر٠	

المصدر : الكتب السنوي SIPRI عام ١٩٨٢ ، ص ٩٦ .

كبار مصدرى السلاح للمعالم الثالث في الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٩

النسبة المئوية لكل المستقات	أكبر المستوردين	النسبة المئوية لإجمالي المصادرات للمعالم الثالث	المورد
٣٥	جنوب أفريقيا	٢٦	اسرائيل
٢٩	الأرجنتين		
٢٥	ليبيا	٢١	البرازيل
٢١	شيبي		
٧٥	باكستان	٩	إيران
٢١	الأردن		
٩٠	جنوب أفريقيا	٩	الأردن
٩٨	زيمبابوي	٩	جنوب أفريقيا
٧٠	أوغندا	٦	ليبيا
٢٤	مسوريا		
		٢٠	حول أخرى

المصدر : الكتاب السنوي لسلطة SIPRI في سنة ١٩٨٢ ، ص ١١٦ .

الفهرس

صفحة	المقدمة
٣	١ - ورثة التاريخ
٨	١ - ١ الصراع العثماني الفارسي والعراق
١٣	١ - ٢ تاريخ مشكلات الحدود
١٥	١ - ٣ حروب ومعاهدات
١٦	١ - ٤ الصراع العراقي الايراني بعد الحرب العالمية الاولى
١٩	١ - ٥ اتفاقية الجزائر
٢٢	١ - ٦ هل هو ارث التاريخ؟
٢٣	٢ - ١ الابعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع
٢٤	٢ - ٢ تاريخ الصراعات الاقليمية
٢٤	٢ - ٢ تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة
٢٧	٢ - ٣ الوحدة العربية
٢٩	٢ - ٤ الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية
٣٢	٢ - ٥ الدول العظمى والدول في المنطقة :
٣٨	الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب
٣٨	٣ - ١ السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية
٤٢	٣ - ١ أسس السياسة الخارجية
٤٥	٣ - ٢ التحول الاسلامي في السياسة الخارجية
٤٧	٣ - ٣ تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة في السياسة الخارجية
٤٨	٣ - ٤ تقلبات في السياسة الخارجية الايرانية
٥٢	٣ - ٥ العلاقات مع الدول العربية خاصة دول الخليج
٥٩	٤ - اندلاع الحرب ومسارها
٦٢	

- ٦٩ ٤ - ١ الغزو وحرب المواقع الثابتة (سبتمبر - مارس ١٩٨٠)
- ٧٤ ٤ - ٢ الغزو المضاد (مارس ١٩٨١ - مارس ١٩٨٤)
- ٨٠ ٤ - ٣ حرب الاستنزاف وحرب المواقع الثابتة (مارس ١٩٨٤)
- ٨١ ٥ - مدخلات الحرب وتأثيراتها
- ٨٢ ٥ - ١ تأثيرها على ايران
- ٨٤ ٥ - ٢ تأثيرها على العراق
- ٨٧ ٥ - ٣ المؤثرات على دول الخليج والمنطقة
- ٩٠ ٥ - ٤ الدول الكبرى والحرب العراقية الايرانية
- ٩٤ ٥ - ٥ النتائج بالنسبة للعلاقات مع دول أخرى
- ٩٥ ٦ - الحرب والتركيب (الفسيفسائي) : هل هى قضية تفكك او اعادة بناء بالنسبة للبعد العرقى والدينى للحرب
- ٩٥ ٦ - ١ الاشكالية
- ٩٨ ٦ - ٢ العلاقة بين المركز والهامش فى ايران
- ١٠٢ ٦ - ٣ التسوية والاكراه فى العراق الحديث
- ١١١

مستأق وحداق
General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

مراجعة مطبعية : على كامل نسوقى



مطابع الهيئة العامة للإستعلامات